ابراهيم عبد الفتاح طوقان

ديوان ابراهيم

دار الشرق الجديد

B

دیوان ابراهیم

مؤسسة ثقافية
للتأليف والترجمة والنشر

المركز الرئيسي ـ بيروت لبنان
شارع سوريا ـ ص.ب. ٢٦٦٨

الطبعة الاولى ١٩٥٥

ماجد سعيد
بيروت في ١٨/اكتوبر/١٩٥٦

ابراهيم عبد الفتاح طوقان

ديوان ابراهيم

دار الشرق الجديد
بيروت





ابراهيم عبد الفتاح طوقان

١٩٠٥ — ١٩٤١

رثاء ابراهيم

للصديق الشاعر جلال امين زريق

[ألقيت في حفلة التأبين التي اقامتها
كلية النجاح الوطنية في نابلس بمناسبة
مرور اربعين يوماً على وفاة ابراهيم]

طَوَيْتَ صحائفَ هذي الحياةِ ونجمُكَ في مُستهلّ السُّرى
وَشَطَّتْ ديارُك بعد التداني فَواوحشتا يا أليفَ الصِّبا
تَنَكّرَ بعدك ضوءُ النهارِ وَحالَتْ وجوهُ ليالي الصفا
وحزَّ الأسى في نفوسِ الندامى وحقَّ لها ان تُعاني الأسى

عَجِلْتَ علينا وانت الصبورُ فهل ضِقْتَ ذَرْعاً بِحَمْل الأذى
وكنتَ تَغُصُّ بحُلْوِ الشراب فكيف استَسَغْتَ مذاق الردى
سعيتَ الى وِرْده مُسرعاً كأنكَ تسعى لنيل العلى

وحولَك بُرْدُ الشباب القشيب تَرِفُّ به حالياتُ المنى
فواحسرتا للشباب القشيب يُوَسَّدُ بعد الحشا في الثرى
ويا لَكَ طيفاً حبيباً توارى وحلماً تلاشى ونجماً هوى

(ابا جعفر) والدُّنى عابرات مَضَيْتَ ولم يُغْنِ عنك البكا
ولو كان يُغْني عتابُ المنايا عَتِبْنا ولم نَقْتَصِدْ بالفدا
ولكن يَعُزُّ علينا الفراقُ ولو كان رَهْناً بحُكْم القضا
فقد كنت فينا غياثَ النفوس وراحَ الجليس وانسَ الحمى

ستبكي عليك عذارى القوافي ويشتاق شدوَك أهلُ الهوى
وتبكي الحمامُ مع النائحات فتشجَى النفوسُ لرجع الصدى
وترخِصُ فيك الدموعَ الغوالي وتشتاق مثلي معينَ الوفا
وخُلقاً يحاكي هبوبَ النسيم وقلباً يشعُّ كقطر الندى

سلامٌ عليك نعمتَ مُقاماً وحيّا ترابَك صوبُ الحيا
تخيّرَكَ اللهُ من بيننا فهيّىءْ رحابَك للملتقى

هذا الديوان ..

بقلم احمد طوقان

هذا هو ديوان أخي ابراهيم ، أضعه بين يديك أيها القارىء الكريم ، بعد ان ساعدت الظروف على نشره ، غير مدع فضلا في جمعه ولمّ شتاته ، فقد كفاني المرحوم ابراهيم مشقة الجمع وعناء البحث بين مفرق الأوراق .

اما السبب في تأخير نشر الديوان حتى هـذا العام ، فهو ان المرحوم ابراهيم قد اختاره الله الى جواره في اليوم الثاني من شهر مايس سنة ١٩٤١ ميلادية اثناء الحرب العالمية الثانية ، ايام كانت الطباعة مراقبة ، والأفواه مكمومة ، فآثرت الانتظار، حتى يبدل الله حالا بحال . ثم وضعت الحرب أوزارها ، ودخلنا نحن اهل فلسطين في صراع كانت ايامه أشد هولا علينا من ايام الحرب . ثم كانت نكبة العرب في فلسطين ، وكانت الكارثة التي أذهلت الناس وشغلتهم عن كل شيء سواها .

قلت ان ابراهيم ، رحمه الله وندّى ثراه ، قد كفاني مؤنة جمع الديوان ، ذلك لأنه جمع ديوانه بنفسه قبل ان فارق دار النكد والفناء الى دار النعيم والبقاء ، وانك لتجد بين مخلفاته دفاتر متعددة ، كتبت في مناسبات متفاوتة في القدم . فهـذه قصيدة اثبتت في المجموعة الأولى ، فمر عليها قلمه في مناسبة أخرى فحذفها وكتب عليها (قصيدة مفككة الأوصال باردة العاطفة) ، وتلك قصيدة أخرى حذفها بدون تعليق ، لاعتقاده ان المناسبة التي قيلت فيها لم تكن بالمناسبة التي تستحق الخلود . ثم نقل رحمه الله ، تلك المجموعة المنقحة مرة أخرى . ولم تنج هذه المجموعة الثانية ايضاً من قلمه ، بل

اعمله فيها فحذف ما حذف ، وأثبت ما اثبت . أما ما ستطالعه في هذا الديوان ، فهو بعينه ما كان سيطلع به علينا المرحوم ابراهيم لو مد الله في اجله ، واشرف بنفسه على طبع ديوانه . واما مجهودي ، إن جاز لي ان اسميه مجهوداً لضآلته ، فهو أني قد وضعت بعض الحركات لتسهل معها قراءة الشعر ، وزدت اسطراً شرحت بها بعض المناسبات لمنفعة اولئك الذين لم يعاصروا القضية الفلسطينية منذ نشأتها . فان وجدت ايها القارىء نقصاً فابراهيم بريء منه ، فما كان النقص ليبقى لو أشرف ، رحمه الله ، بنفسه على طبع ديوانه .

وبعد ، فها هو (ديوان ابراهيم) ، يثير نشره اليوم شجناً ، ويجدد حزناً ، ورحم الله من قال :

وكنا اذا يتآى به بين ليلة يظل على الأحشاء من بينه الجمر
وهذا اذا كان الفراق لليلة فكيف لبين كان موعده الحشر

اخي ابراهيم

بقلم فــدوى طوقــان

لا احب الي من ساعة آخذ فيها مجلسي من امي ، فتحدثني عن طفولة شقيقي ابراهيم رحمه الله ؛ ويا له شعوراً حزيناً ، يتسرب في شعاب قلبي ، حين تفتتح حديثها عن ابراهيم بهذه الديباجة التي تفعم نفسي بالرحمة لها ، والحسرة عليه : « لقد بلوت في ابراهيم الحلو والمر ، ولقيت فيــه من الحزن وطارقات الهموم ، اضعاف ما لقيت فيــه من السعادة والهناء .. » وتترقرق في عيني كل منا دمعة ؛ وتعتلج في صدر كل منا لوعة ؛ ثم تشرع هي ، في حديثهــا عن طفولة ابراهيم ، وقــد اقبلت عليها بحواسي وقلبي وروحي جميعاً .

كان ابراهيم لعوباً الى حد بعيد ، لا يقتصد اذا اخذ بسبب من اسباب العبث واللعب ؛ وكأنما كانت نفسه تضيق بإهابه فلا يهدأ ، ولا يستقر . وهو في احيان كثيرة على خلاف مع جدتــه لأمه ، رحمها الله ، اذ كان على وفاق مع طبيعته المرحة اللعوب . كان يعرف نزق جدته وضيقها بالضجة والحركة ، فلا يألو جهداً في معابثتها واستفزازهــا ، وذلــك لكي تزجره وتنتهره برطانتها التركية التي كانت تخالطها من هنا وهناك كلمات عربية ، لا تستقيم لها مخارج بعض حروفها فتأتي ملتوية عوجــاء ، تبعث ابراهيم على

---

* نشر هذا المقال في العدد السادس من (سلسلة الثقافة العامة) التي كانت تصدر اعدادها المكتبة العصرية في يافا .

الضحك ؛ ولقد تهمّ الجدة باللحاق به ، فيفر منها .. ويتسلق احدى شجرات النارنج التي تمتلىء بها ساحة الدار ؛ وهناك يأخذ مكانه بين الفروع الغليظة الصلبة ، وينتهي الأمر بينهما عند هذا الحد . ثم يشرع ، وهو في مقعده ذاك من الشجرة ، يترنم بالأهازيج الشعبية التي كانت تروقه وتلذه كثيراً .

وانني لأمثل في خاطري ، ذلك الشيخ الوقور ، جدي لأبي ، رحمه الله متربعاً في كرسيه ، مشتملا بعباءته ، والى جانبه حفيده الصغير ابراهيم ، يتقارضان من الشعر والزجل (والعتابا) ما يعيه قلباهما .

وانني لأمثل ابراهيم في خاطري كما يصورونه لي ، واقفاً أمام جده يرتجل ما ينقدح عنه فكره الصغير يومئذ ، من قول يرسله في وصف حادث حدث في البيت ، فيه نكتة ، او طرافة ... وذلك في عبارات تكاد تكون موزونة مقفاة ، يقلد فيها ما كان يستظهره في المدرسة من شعر ؛ او ما يعيه قلبه من قصص « عنترة » و « ابي زيد الهلالي » و « سيف بن ذي يزن » ؛ تلك التي كثيراً ما أصغى الى أمه وهي تقرأها لجده لأبيه ، في امسيات الصيف الجميلة ، او في ليالي الشتاء الطويلة .

كان ذلك التقليد من ابراهيم لأسلوب الأشعار التي يحفظها في المدرسة ، ولأسلوب القصص التي يسمعها تقرأ في البيت ، يملأ نفس الجد غبطة ، ويغمرها بهجة ، فيأخذ حفيده اليه ، ويحتويه بين ذراعيه ، ويقول له بلهجة المعجب المتعجب : « ... من اين تأتي بهذا الكلام يا ابراهيم !. » ، ثم يأخذ كيس نقوده من جيبه ، ويتناول منه قطعة ، يقبضها ابراهيم ، وينطلق بها مرحاً خفيفاً ، كأنه طيف من الأطياف .

على مثل تلك المقارضات والمساجلات ، وعلى مثل هذه المحاولة الصبيانية لقول الشعر ، التي كانت تروق الجد ، بما فيها من تسلية لشيخوخته ، والتي كانت تستهوي الحفيد ، بما فيها من اشباع لفطرة شعرية كامنة فيه ، نشأ ابراهيم أول ما نشأ .

وفي هذه الأثناء ايضاً ، كان ابراهيم يبعث بالعجب والطرب معاً في نفس معلمه ، اذ يقف أمامه وقفته الخاصة كلما قام لينشد الشعر في درس الاستظهار ، سواء أكان ذلك الشعر عربياً أم تركياً ؛ فيلقيه القاء موسيقياً جميلا ، ينبعث له طرب المعلم ، فيشرع ، وهو المعلم الوقور ، ينقر بأصابعه على

المكتب نقرات ايقاعية ؛ تساير ذلك الالقاء الرائع الذي كان يزيد في روعته صوت خلاب آسر ، عرف له في مواقفه الخطابية فيما بعد .

كانت (المدرسة الرشادية الغربية) حيث تلقى ابراهيم دروسه الابتدائية تنهج في تعليم اللغة العربية نهجاً حديثاً لم يكن مألوفاً في مدارس نابلس في العهد التركي . وذلك بفضل بعض المدرسين النابلسيين الذين تخرجوا في الأزهر ، وتأثروا في مصر بالحركة الشعرية والأدبية التي كان يرفع لواءها شوقي وحافظ وغيرهما من شعراء مصر وأدبائها . هؤلاء المدرسون ، اشاعوا في المدرسة روح الشعر والأدب الحديثة ، واسمعوا الطلاب للمرة الأولى في حياتهم الدراسية قصائد شوقي وحافظ ومطران وغيرهم ، وفتحوا اذهانهم على اسلوب انشائي حديث ، فيه رونق ، وفيه حياة ؛ يختلف اختلافاً كبيراً عن ذلك الاسلوب القديم الذي كان ينتهج في المدارس في نابلس ، والذي لم يكن ليخرج عن كونه اسلوباً تقليدياً عقيماً ، لا تأثير له ، ولا غناء فيه .

من هؤلاء المدرسين المجددين ، المرحوم الشيخ ابراهيم ابو الهدى الخماش ؛ وكان جريئاً صريحاً ، ذا نزعة عربية صميمة ، ومبادىء وطنيـة قومية ، يجهر بها ويبثها في النفوس عن طريق خطبه وتدريسه ومجالسه ؛ وذلك في عهد ، كان الجهر فيه بمثل تلك المبادىء ، يودي بأهله على المهالك . وقد التحق فيما بعد بالثورة العربية ، تحت لواء المغفور له الملك فيصل .

ومن هؤلاء المدرسين ايضاً ، صاحب الفضيلة ، الشيخ فهمي افندي هاشم قاضي قضاة شرقي الاردن في وقت مضى .

أمضى ابراهيم أربع سنوات في هذه المدرسة ، هي سنوات الحرب العظمى ؛ وانتقل على أثر الاحتلال الانكليزي مباشرة ، إلى مدرسة المطران في القدس ، وله من العمر أربعة عشر عاماً .

وهنا نعرض لشخصية تعرف بها ابراهيم في القدس ، فكان لها انطباع في نفسه في ذلك الحين ، تلك هي شخصية المرحوم الاستاذ نخلة زريق ؛ وكان هذا متأثراً باليازجيين ، واسع الاطلاع على الآداب الاسلامية العربية ، شديد التعصب للغة ، شديد الوطأة على كل عربي متفرنج يتهاون في لغته أو عربيته ؛ وكان ذا شخصية قومية ، لا بدّ من ان تترك في اعماق من تعرف بها ، أثراً منها .

كان المرحوم نخلة زريق مدرساً للغة العربية في (الكلية الانكليزية) في القدس ؛ فتح عيون طلابه على كنوز الشعر العربي ، وحببها اليهم ؛

ولقد كان ابراهيم ، وهو في مدرسة (المطران) يأخذ من شقيقه أحمد ـ وكان طالباً في الكلية الانكليزية ـ منتخبات الشعر القديم والحديث ، مما يختاره المرحوم نخلة زريق لطلابه ، فيستظهرها جميعاً ؛ وعن طريق أحمد ، تعرف ابراهيم بذلك المدرس الأديب ، فكانا يزورانه معاً في بيته الذي كان محجة العلماء والأدباء في القدس ؛ ويصغي اليه وهو يتدفق في حديثه عن الأدب والشعر ، والعرب والعروبة .. مما كان له شأن في ايقاظ وعي ابراهيم على مؤثرات ادبية وقومية أخرى .

واذ أتم أحمد دراسته في الكلية الانكليزية ، وتوجه الى الجامعة الاميركية في بيروت ، ظلت تلك الاسباب موصولة بين ابراهيم وبين المرحوم نخله زريق ، ولكن لمدة قصيرة ، اذ توفي الثاني سنة ١٩٢٠ .

في هذه الفترة من الزمن ، كان ابراهيم يحاول ان يقول الشعر الصحيح ، فتلتوي عليه مسالكه ، ولا يفلح فيه ، اذ لم يكن قد درس علم العروض بعد .

وفي العطلة المدرسية ، يعود أحمد من بيروت ، ويلتقي الشقيقان في نابلس وقد حمل أحمد لابراهيم ، ما حصله هناك من علم العروض ، ويشرح له تفاعيل الأبحر الشعرية ويوقفه على أصول القوافي ؛ فيستوعب الشاعر المنتظر كل اولئك جميعاً ، وكأنما فتح له فتح في دنيا الشعر التي كان يتشوق اليها ويعقد آماله ومطامحه عليها .

وعلى اثر ذلك ، يبدأ ابراهيم يقرزم الشعر قرزمة ، ويقوله في المناسبات التي تعرض له ، والأحوال التي تمر عليه في مدرسة المطران مما يوحي به الجو المدرسي ، بما فيه من جد وهزل .

وفي مجموعة اشعاره التي نظمها خلال عاميه الأخيرين في مدرسة المطران ، نحس بالشاعرية الكامنة التي كانت تأخذ عدتها ؛ لتستعلن بعد حين قصير في شعره القوي ، كما نلمس تلك الروح الوطنية المشتعلة التي اشربها منذ الصغر ، والتي أذابها فيما بعد ، في شعره الوطني .

وفي سنة ١٩٢٣ نشر ابراهيم لأول مره احدى قصائده ، ويقول ابراهيم بهذا الشأن :

« ... لعلها أول قصيدة نشرت لي في صحيفة . رحم الله عمي الحاج حافظ !. قرأها ، فأبدى إعجابه بها (على سبيل التشجيع) وطلب الي ان ابيضها لينشرها في الجريدة ! في الجريدة ؟. شيء يطيش له العقل ؛ فأسرعت الى تلبية طلبه ، وعنيت بكتابتها قيراطاً ، وبوضع اسمي تحتها

ثلاثة وعشرين قيراطاً ... ثم أتيت بها اليه ، قال رحمه الله : « أتضع اسمك هكذا : ابراهيم طوقان ؟ لا يا بني ! يجب ان تضع اسم الوالد ايضاً ، ابراهيم عبد الفتاح طوقان ، اعترافاً بفضله عليك ، وبره بك ...» أدب أدبني به عمي رحمه الله ، لا اعلم اني وقعت اسمي بعد ذلك الا تذكرت قوله وعملت به في كل أمر ذي بال أردت نشره ».

ولقد كان من اكبر الأسباب التي اعانتـه على ان يقول الشعر فيجيده بالقياس الى صغر سنه ، هو كثرة حفظه للشعر المنتخب ، واحتفاله الكبير بالقرآن الكريم ، فقد كان كثير التلاوة له ، عميق النظر فيه . وأما ذلك الاحتفال منه بكتاب الله ، فانه يرجع بدواعيه واسبابه الى بيئة في البيت ، يعنى اصحابها بتنشئة اطفالهم على تلاوته والتشبع بروحه . ولم ينفك ابراهيم منذ صغره يقرأ القرآن ، ويطيل التأمل فيه ، حتى اصبح له ذلك ديدناً ، لا يعوقه عنه عائق ، ولا يصرفه عنه تقلبه في مختلف معاهـد العلم الاجنبية فيما بعد . ولم تكن تلاوة القرآن الكريم تلاوة سطحية عابرة ، بل كان يتجه اليه بقلبه وروحه ، ويحس له في نفسه وقعاً عجيباً ، واثراً بعيداً ، فيهزه اعجازه هزاً ، وتفعل فيه بلاغته فعل السحر ، ويستولي عليه خشوع عميق ، يصرفه عن كل ما يحيط به .

انتهى ابراهيم من تحصيله في مدرسة المطران سنة ١٩٢٢ – ١٩٢٣ وانتقل الى الجامعة الاميركية في بيروت . وهنا تبدأ أخصب مراحل حياته الدراسية ، اوا كثرها ألواناً .

فها هو في بيروت ، يظله أفق أدبي واسع لا عهد له بمثله في فلسطين . هنالك الأدباء والشعراء ، وهنالك الدنيا براقة خلوب ... وهنالك بعـد ذلك ، السهم الذي كان ينتظره ، منجذباً عن وتره الى آخر منزع ؛ يتربص به الفرص ، لينفذه في قلبه الذي لم يكن قد مسه الحب بعد ..

في هذه الجامعة ، يعرفه شقيقه أحمد بأحد اصدقائه من الطلاب ، وهو (سعيد تقي الدين) ؛ وسعيد ، من اولئك الذين يتذوقون الشعر ، ويميزون بين صحيحه وزائفه تمييزاً صائباً ؛ فيلمح هذا في شعر ابراهيم بارقات وصوراً شعرية ، تلوح من هنا ، وتستتر من هناك . وتساند احمد وصديقه سعيد ، وبدءا يوجهان ابراهيم التوجيه الصحيح في عوالم الشعر ودنياواته الرحيبة الجميلة .

وفي عامه الدراسي الثاني في الجامعـة ، وكانت شاعريته قد بدأت تزخر

وتمتلىء ، لتنبثق عن معينها بعد ان اخذت عدتها من هذه الصناعة الدقيقة ، صناعة الشعر ، نظم ابراهيم قصيدته في الممرضات ، أو (ملائكة الرحمة) فكانت اول قصيدة لفتت اليه الأنظار في لبنان .

ففي هذا العام (١٩٢٤) مرض ابراهيم ، واضطره ذلك الى العودة الى نابلس ، قبل انتهاء الفصل الدراسي الاول . وفي اثناء مرضه نظم تلك القصيدة ، ونشرها في جريدة (المعرض) التي كانت تصدر يومئذ في بيروت فاذا العيون تتطلع الى هذا الشاعر الناشىء ، الطالب في الجامعـة ، واذا بالصحف تتناقلها . نقلتها مجلة (سركيس) عن (المعرض) وعلقت عليها بقولها : « ولعله اول من نظم شعراً عربياً في هذا الموضوع » . وطلبت القصيدة من قبل مجلة (التمدن) في الأرجنتين ، واهديت اليه المجلة سنة كاملة ، وكان مما علقته عليها قولها : « ولو كان كل ما ينظمه شعراؤنا في هذا الباب من هذا النوع ، لكان الشعر العربي في درجة عالية من القوة والفتوة » ونقلتها جرائد ومجلات أخرى ، وكلها تطري الشاعر ، وتشجعه .

اما هذه القصيدة ، فهي وان تكن قد قيلت في موضوع الممرضات ، غير ان قسماً كبيراً منها ، كان في وصف الحمام ؛ تلك الطيور الوديعة ، التي كان يغرم بها ابراهيم ، ويعنى باقتنائها وتربيتها ، ايام صباه . وتحدثني أمي ، كيف كان وهو طفل ينجذب الى هذا الطائر انجذاباً خاصاً ، ويتأمله محوماً رائحاً غادياً ؛ وكيف كان ابراهيم اذا وقف كل صباح ليغتسل على حوض المـاء الذي يقوم في صحن الدار ، أطال هناك الوقوف ، مستغرقاً في تأمله لأسراب الحمام ، وقد حفت بالماء تغتسل وتعبث بريشها ، فلا يزال على وقفته تلك ، الى ان ينبهه والده الى ابطائه على المدرسة .

وهكذا يمضي ابراهيم في طريق النظـم ، وكانت نشوة توفيقه في قصيدة (ملائكة الرحمة) ، قد افعمته بالزهو والخيلاء كما يقول ، الى ان تلقاه درساً اليما ، أوحي اليه يومئذ بقصيدة عنوانهـا « عارضي نوحي بسجع » وفيها تنعكس حالته النفسية الثائرة ، التي ترجع بأسبابها الى الدرس الأليم الذي تلقاه .

يقول ابراهيم بهذا الصدد : « كنت قد توفقت في قصيدة ملائكة الرحمة ، وسمعت كثيراً من كلمات الاعجاب بها ؛ فخيل الي ان كل قصائدي في المستقبل، ستكون مثلها مدعاة للاعجاب !؟ وأخذت في نظم قصيدة غزلية ، وأنا مفعم بزهوي وخيلائي ؛ واخذت اغوص على المعاني ، واتفنن بالالفاظ !!. وكان يشرف على نشأتي الادبية اثنان من الزبانية هما أخي احمد ، وسعيد تقي الدين ،

فهرعت اليها لأسمع اعجابها وانتشي به ، وتلوت عليها القصيدة ، وظفرت بالاعجاب !.. وتركاني ، وعادا إلي بعد قليل . قال أحمد : « أخي أنا لا أفهم القصيدة جيداً حين تتلى علي ؛ اريد ان اقرأها بنفسي » . فناولته القصيدة ، ودنا رأس سعيد من رأس احمد ، وشرعا في قراءة صامتة ، ثم كانت نظرات تبادلاها ، أحسست منها بمؤامرة ... واذا بالقصيدة تمزق ، واذا بها تنسف في الهواء . قال أحمد : هذه قصيدة سخيفة المعنى ، ركيكة المبنى ؛ قال سعيد : ليس من الضروري ان تنظم كل يوم قصيدة ! قال أحمد : كلها تكلف وحذلقة !. قال سعيد ليهون اثر الصدمة : لا بأس بها ، لكنها لا شيء بالنسبة الى قصيدة ملائكة الرحمة ، احمل كل سنة قصيدة مثل ملائكة الرحمة ، وكفاك ... قال أحمد ... وقال سعيد ... ولكن كان رأسي بين أقوالهما كأنه في دوار ، ولم اتمالك عن البكاء ، وتركتهما حانقاً ناقماً . وبعد ساعة كان سعيد فوق رأسي – وأنا لا أدري – يتلو أثر تلك الصدمة في قصيدتي : « عارضي نوحي بسجع » . فاختطفها ، وعاد إلي بها في الصباح ، وعليها الجملة الآتية بقلم عمه الشيخ أمين تقي الدين : « روح شاعرة ، ليتها في غير معاني اليأس ، فالشباب واليأس لا يلتقيان ، أما النظم ، فيبشر بمستقبل فيه مجيد . »

« قسوة وعنف ، أفاداني أن أكون مع نفسي بعدئذ قاسياً عنيفاً ، امزق القصيدة حين أشعر بالتكلف يدب فيها ، وان أقف موقف الناقد الهدام ، أحطم شعري بيدي ، أو أبديه وأنا راض عنه ، ضامن رضى قارئه أو سامعه . أحمد وسعيد ليسا من الزبانية ؛ إنهما ملكان كريمان !. جزاهما الله عني خيراً » .

ونعود الى ما بدأنا به من الحديث عن أيام ابراهيم في بيروت فنقول : مضت عليه سنوات ثلاث في الجامعة ، بلغ في نهايتها الثانية والعشرين ، وقد قعد به المرض خلالها عن اتمام دراسته في الصف الأول العلمي ، فانتقل الى نابلس ، ثم عاد في العام الذي تلا ذلك الى الجامعة . وكان في هذه السنوات الثلاث لا ينقطع عن قول الشعر . وفي سنة ١٩٢٥ نشرت له جريدة (الشورى) في مصر نشيداً وطنياً لتحية المجاهد الأمير عبد الكريم الريفي . فلما أطلع الشاعر الاستاذ خير الدين الزركلي على النشيد قال :

« ان صدق ظني ، فان صاحب هذا النشيد سيكون شاعر فلسطين » .

ومن عجب ، ان يظل قلب ابراهيم خالياً من المرأة حتى ذلك الحين ، ولقد كان اصدقاؤه في الجامعة يعجبون لذلك ويقولون له على سبيل المزاح : « أنت شاعر ولكن بلا شعور ، أين وحي المرأة في شعرك ؟ »

في نهاية تلك السنوات الثلاث ، بلغ ابراهيم الثانية والعشرين كما ذكرنا من قبل . وهنا مس الحب قلبه .. ولكن هل كان مس ذلك الحب رفيقاً رحيماً ؟ كلا ؛ بل كان مساً عنيفاً ملهباً اشعل روحه وأيقظ حسه ، وأرهف نفسه .

ففي سنة ١٩٢٦ ، طلعت في الجامعة في بيروت ، فتنة تمثلت في صورة فتاة فلسطينية طالبة هناك ، فأحيت قلوباً وسحقت قلوباً ... وتورط ابراهيم، ودخل المعركة ، وابتلى حسنات وسيئات ، أما السيئات ، فليس هذا بموضع تدوينها ، وأما الحسنات ، فتنحصر في الطريق الأدبي الجديد الذي نهجه ، والاستعداد الكبير للسير في هذا الطريق .

صار قوي الملاحظة ، حاضر العاطفة ، متوفز الأعصاب ، صار كثير المطالعة ، صياداً للمعاني ، بسيط العبارات ، سهل الفهم ، مصيباً .

تلك هي حسنات ذلك الحب ، على حد تعبيره .

ونظم في فتاته قصيدته (في المكتبة) ، ونشرت القصيدة في احدى الصحف في بيروت ، فنطقت بألسنة الكثيرين من الطلاب والاساتذة أيضاً...

ومنذ ذلك الحين ، أخذ ابراهيم يضرب على قيثار الغزل ، فيطرب سماعه ، ويعجب قراءه . وقد أحبته فتاته بمقدار ما أحبها ، ثم ضرب الدهر بينهما ، فكانت نهاية حبه مأساة ، خلفت في القلب الشاعر جرحاً ، كان يندمل حيناً ، وتنكأه الذكرى حيناً آخر ، فينعكس ذلك كله في شعره ، كما تنعكس صورة على صفحة المرآة المصقولة .

نكتفي بهذا القدر من قصة ذلك الحب ، الذي كان له اكبر الأثر في ارهاف حسه ، والسمو بشاعريته الى سماء الشعر الصادق ، الذي ينبثق من ذات النفس ، وينبعث من اعماق الروح .

ولنلتفت الآن الى بعض الأجواء الأخرى ، التي كانت تحيط بابراهيم في أعوامه التي قضاها طالباً في الجامعة .

لقد احتضنت ابراهيم في الجامعة وخارجها ، بيئة شعرية ادبية لم تكن

لتحتضنه لو لم يكن في بيروت . أما في الجامعة ، فقد كان هناك رعيل من اقرانه الطلاب ، امتاز بصفته الشعرية ، وتعاطيه لقول الشعر الجزل . من ذلك الرعيل كان عمر فروخ (صريع الغواني) وحافظ جميل (ابو النواس) ووجيه بارودي (ديك الجن) وابراهيم (العباس بن الأحنف) . وكان تجاوب الذوق والمشرب قد وصل بين هؤلاء بأسباب المحبة والأخوة . وكانت تجري بين حافظ ووجيه وابراهيم ، مساجلات شعرية عديدة ، تناقلها الطلاب وأحبوها ، غير ان هذه المساجلات لم تكن لتخرج عما توحي به طبيعة الشباب الملتهب ، المندفع وراء الحياة ...

هذا في الجامعة ، وأما خارجها ، فقد كانت هنالك مجالس الأدب العالي والشعر الرفيع ، وكلها تفتح لابراهيم صدرها ، وتوليه من عنايتها واهتمامها، وتعقد بينه وبين أصحابها صلة الود . وحسبي أن أذكر من أصحاب تلك المجالس الأدبية الرفيعة المرحوم الشيخ أمين تقي الدين والمرحوم الاستاذ جبر ضومط ، والشاعر بشارة الخوري (الأخطل الصغير) .

أصبح ابراهيم شاعر الجامعة ، كما لقبته صحف بيروت . ولم يقتصر في ذلك العهد على الشعر الغزلي فحسب ، بل كانت أغاريده الوطنية الفياضة بالعواطف الصادقة ، والايمان الوطني القوي ، تسير جنباً الى جنب مع أغاريده الغزلية . وهذان الوتران كانا من الأوتار التي امتاز ابراهيم بالضرب عليها .

وفي سنة ١٩٢٩ ، نال شهادته من الجامعة ، ليخوض بحر الحياة العملية المزبد المتلاطم .

معلم ، معلم ، معلم ، هذه هي الكلمة التي كان يسمعها تتردد على شفاه الكثيرين من الطلاب الخريجين ، يوم توزيع الشهادات ؛ فيقول لنفسه : « أبعد هذا العناء والكد ، يختار هؤلاء التعليم مهنة ؟ . ألا ساء ما يفعلون ؛ ما أقصر مدى طموحهم » .

أما هو ، فقد كانت المفاوضات جارية بينه وبين احدى دور الصحافة في مصر ، وتوشك ان تنتهي على أحسن ما يتمناه . فهذه مهنة تلائم ذوقه على الأقل ، وتسير مع اختصاصه . سيكون محرراً في مجلة كبرى في القاهرة؛ وناهيك بالقاهرة من مدينة فن وأدب وجمال . وأي شيء تصبو اليه نفس الأديب الناشىء الطموح ، ولا يجده في القاهرة ؟ المكتبة الكبرى ، الأزهر،

الصحف ، الشعراء ، الكتاب ؛ « يا مصر ، لله مصر !. » صحافي ، صحافي ...

هذا ما كان ابراهيم يحدث به نفسه في أيامه الأخيرة في الجامعة .

من المنصة التي منح عليها (البكالوريا) ، مشى ابراهيم الى سرير المستشفى ؛ وأراني حتى الآن ، لم أشر الى انه كان يشكو ألماً في معدته منذ أيام التلمذة في مدرسة المطران في القدس ؛ وكثيراً ما أقعده ذلك عن مواصلة التحصيل ، الى ان يشفى فيعود اليها ؛ وكثيراً ما حمله بعد ذلك ، على الاستقالة من وظائفه التي تقلب فيها .

أبلّ ابراهيم من مرضه ، وكان والده الى جانبه في هذه الآونة ، اذ قدم بيروت ليشهد حفلة الجامعة . ثم توجه الاثنان الى مصر ليستشيرا الأطباء هناك ، وليبحث ابراهيم في شغله الصحافي .

وفي مصر ينفذ البرنامج ، وتتجه صحة ابراهيم اتجاهاً حسناً ؛ وبعد بضعة اسابيع يعود الوالد بولده الى نابلس ، قرير العين ، ناعم البال ، على ان يعود ابراهيم للشغل في مصر بعد ان يمضي مع ذويه أياماً قليلة .

غير ان الام تأبى عليه ذلك ، وتحكم ان يظل ولدها قريباً منها ، وتدخل العاطفة في الموضوع .. زد على ذلك ان أباه لم يكن راغباً في شغله في مصر .

وكانت هنالك ظروف اخرى ، شاءت ان يلغي ابراهيم برنامجه الصحافي ويضرب بهذا الأمل المنشود عرض الحائط ، ولو لمدة سنة .

وفي هذه الآونة ، كانت وظيفة معلم اللغة العربية في مدرسة النجاح الوطنية بنابلس شاغرة . فيأتي الى ابراهيم والده ، يقنعه بالموافقة على التدريس هناك ؛ فهذه خدمة وطنية مشكورة ، اضف الى ذلك ان المسؤولين في المدرسة ، سيجعلون ساعات العمل بحيث لا يرهقونه ، ثم ان هذا العمل في بلده ، وانه لون من ألوان الاختبار يقطع فيه ابراهيم جزءاً من أوقات الفراغ الطويلة المملة .

ويكون رد ابراهيم على ابيه بأنه لا يستطيع ان يتصور نفسه معلماً ، فهذا عمل لم يخلق له ، وسيكون فيه خائباً لا محالة . ولكن أباه يبين له انه سيعلم في موضوعه ، فلا يخرج عن نطاق ما خلق له .

واذا بابراهيم ذات صباح أمام فريق من الطلاب ، على مقاعدهم الخشبية ،

واذا به يكتب على اللوح : « الطقس جميل » ، ثم يقول لأحد التلاميذ : ادخل (كان الناقصة) على هـــذه الجملة ، فيقول التلميذ : «كان الطقس جميلا » .

نعم ... كان الطقس جميلا ، فتعكر ، وجرت الرياح بمـــا لا تشتهي السفن ...

زاول ابراهيم مهنة التعليم في هذه المدرسة سنة واحدة ، وكان له تأثير في بعض طلابه من الصفوف العالية ؛ فحبب اليهم الشعر والأدب . ولا ازال اذكر ذلك اليوم الذي اقبل فيه يحدثنا مبتهجاً ، بأن بعض تلاميذه النجب ، قد بدأوا ينظمون الشعر على يده .

خلال هــذا العام الدراسي (١٩٢٩ - ١٩٣٠) كان ابراهيم ينظم الشعر الوطني ، فيرسله صرخات حافزة ، وناراً مشتعلة . ومن اشهر قصائده في ذلك الحين (الثلاثاء الحمراء) .

ففي حزيران سنة ١٩٣٠ صدر حــكم الاعدام على شهداء فلسطين الثلاثة ، وذلك على أثر ثورة سنة ١٩٢٩ . وقــد ضج اهل البلاد لهذا الحــكم ، وقدموا احتجاجاتهم ورجاءهم ، فلم يغن ذلك عنهم شيئاً .

وفي نهـــار الثلاثاء ، السابع عشر من حزيران سنة ١٩٣٠ ، كان التكبير على المآذن ، وقرع النواقيس في الكنائس ، يتجاوب صداها في ارجاء فلسطين قاطبة ؛ اذ في ذلك النهار ، نفذ حــكم الاعدام بالشهداء الثلاثة ، في ثلاث ساعات متوالية . فكان اولهم فؤاد حجازي وثانيهم محمد جمجوم ، وثالثهم عطا الزير . وكان من المقرر رسمياً ان يكون الشهيد (عطا الزير) ثانيهم ، ولكن (جمجوماً) حطم قيده ، وزاحم رفيقه على الدور حتى فاز ببغيته ..

وهنا يأخذ الشاعر ريشته ليصور هذا اليوم المخضب بالدماء اروع تصوير ، وليسجل في سفر الشعر الوطني الخـــالد ، مصارع اولئك الشهداء . فتكون قصيدة (الثلاثاء الحمراء) .

وكان يوم حفلة مدرسة النجاح السنوية في نابلس ، ولم يكن قد مضى على تنفيذ حــكم الاعدام بهؤلاء الشهداء اكثر من عشرة ايام ، فالنفوس لا تزال ثائرة ، والعواطف لا تزال مضطربة ؛ وفي تلك الحفلة ، القى ابراهيم قصيدته (الثلاثاء الحمراء) .. وذهل عن الجمهور ؛ وشعر كأنما خرج من

لحمه ودمه ، فكان يلقي بروحه وأعصابه ، فما انتهى حتى كان بكاء الناس يعلو نشيجه ، ثم تدفقوا خارج القاعة في حالة هياج عظيم حتى لقد قال بعضهم يومئذ : « لو ان ابراهيم ألقى قصيدته في بلد فيه يهود ، لوقع ما لا يحمد عقباه » . يشير بذلك الى فرط الحماس الذي أثارته هذه القصيدة في اولئك السامعين .

لم تكد تبدأ عطلة العام الدراسي الأخيرة لسنة ١٩٣٠ حتى كانت الجامعة الاميركية في بيروت ، قد عرضت على ابراهيم ، بواسطة الاستاذ انيس الخوري المقدسي ، التعليم في قسم الأدب العربي في الجامعة .

كان مجرد فكرة العودة الى بيروت ، وآفاقها الرحيبة السحرية ، كفيلا بأن يجعل ابراهيم يوافق على مزاولة التعليم مرة أخرى ، وعن طيب خاطر .. فلقد كان حبه لهذا البلد ، ولأهله الكرام ، حباً متمكناً من نفسه ، الى حد بعيد ، بل لقد كانت بيروت عنده بمنزلة الوطن الثاني له ، يرى في أهلها أهله ، وفي عشيرتها عشيرته ، وكيف لا يكون لهذا البلد في نفس ابراهيم مثل هذا المكان الرفيع ، وفيه تفتحت زهرة شبابه اول ما تفتحت :

أول عهدي بفنون الهوى   بيروت ؟ أنعم بالهوى الأول ..

وانتقل الى الجامعة الأميركية ، فدرّس فيها عامين ، نظم خلالهما أروع قصائده التصويرية ، مما يدخل في باب الموضوعيات من شعره . ولابراهيم في هذا الباب قصائد فذة ، تفيض بالصور الحية الناطقة .

ولقد عادت المرأة ، أو بالأحرى ، عاد الجمال يحرّك قلب ابراهيم في بيروت ، فيوحي اليه بأرق الشعر وأجزله . ومسارح الجمال في بيروت مختلفة الألوان ، متعددة الصور ، وهي هناك تكاد تكون مكشوفة النقاب لا تختبىء وراء حجاب . وابراهيم نشأ في بلد متمسك بتقاليده وعاداته أشد التمسك ، فهو يسدل دون المرأة ستاراً كثيفاً نسجه . ومن هنا ، كانت بيروت مهبط وحيه في ما قاله من شعر في المرأة .

وفي غادة اشبيلية اندلسية ، كانت في بيروت ، نظم ابراهيم فيما نظم من شعر غزلي في ذلك الحين ، عدة قصائد ، وهو يعترف بأن انجذابه الى هذه الغادة ، قد لا يكون بدافع جمالها ، وخفة روحها ، بمقدار ما كان

يتقرّاه في خلقتها من الدم العربي ، وما كان يلاحظه مـن الفن العربي في ثيابها ورقصاتها .

وأثناء اقامته في بيروت قدم الجامعة الأميركية الدكتور (لويس نيكل البوهيمي) ، وهو مستشرق تخصص في الغزل العربي ، فكان يتنقل بين عواصم الشرق والغرب ، باحثاً في مكاتبها الكبرى عن الكتب المتعلقة بموضوعه ، وكان من نتيجة ذلك ان ترجم الى اللغة الانكليزية كتاب (طوق الحمامة) لابن حزم الاندلسي . وقد تعرف ابراهيم بالدكتور نيكل عن طريق صديقه الاستاذ أنيس فريحة ، وكان هذا المستشرق ، حين تعـرف بابراهيم ، قد بدأ بتصحيح كتاب (الزهرة) لابن داود الاصفهاني ، وتعليق حـواشيه وتنظيم فهارسه . فلما رأى مدى اطـلاع ابراهيم على الشعر القديم دعاه الى العمل معه واشراكه في تصحيح الكتاب وطبعه ؛ وباشرا العمل معاً في اليوم الثاني للمقابلة الأولى . وفي بضعة شهور انجزا عملها فيه حيث طبع الكتاب سنة ١٩٣٢ . ويقول الدكتور نيكل بهذا الشأن في رسالة خـاصة تلقيتهـا منه : « ... ثم أقمنا حفلة (الزهروية) في مطعم نجار ، ونظم ابراهيم قصيدته (غادة اشبيلية) ، وكانت تلك الأيام من أسعد أيامه وأيامي ... »

وفي نهاية العام الثاني لتدريسه في الجامعة ، قـدّم ابراهيم استقالته مـن العمل ، وعاد الى فلسطين ، حيث زاول مهنة التعليم في المدرسة الرشيدية في القدس . وفي هذا الحين ، ضاق بعمله اشد الضيق ، فنفّس عن الـكرب الذي لحقه من هذه المهنة بقصيدته (الشاعر المعلم) وقد صاغها في قالـب فكاهي عذب ، صور فيه ما كان يكابده من مشقة التعليم ، والجهد الذي كان يبذله ، والعناء الذي كان يلاقيه من جراء ذلك كله .

وفي أواخر سنة ١٩٣٢ ، وقبل انتهاء الفصل الدراسي الأول ، ألـح عليه السقم ، ولازمته العلة ، فانقطع عن التدريس ، وظل طريح الفراش ، الى ان اشتدت وطأة المرض ، فأشار الأطباء بضرورة نقله الى المستشفى ، واجراء عملية جراحية في معدته . ولقد كان من خطورة شأن هذه العملية ، ان نفض الجراح يديه من نجاة مريضه من الموت بعدها ، لما كان عليـه ابراهيم من النحول والضعف . ولـكن (الله في السماء ، والأمل في الأرض!) فقد اجريت العملية بالرغم من الشك الـكبير في نجاته من خطرها . وتشاء

حكمة الله ، ان ينجو ابراهيم من الموت المحقق ؛ ولقد أقر الطبيب يومئذ ، بأن سلامة مريضه كانت من معجزات الله ، لا شأن لفن الطب فيها ، ولا لحذق الطبيب ، اذ كانت حال ابراهيم فوق هذين كليهما .

وتماثل للشفاء ، وحانت الساعة التي سيغادر فيها المستشفى ، فشيع الطبيب هذا (المولود الجديد) ، كما كان يسميه ، مهنئاً والديه به . وخرج ابراهيم وفي جيبه ورقة عليها هذه الأبيات :

اليك توجهت يا خالقي بشكر على نعمة العافيه
اذا هي ولت فمن قادر سواك على ردها ثانيه
وما للطبيب يد بالشفاء ولكنها يدك الشافيه
تباركت ، أنت معيد الحياة متى شئت في الأعظم الباليه
وأنت المفرج كرب الضعيف وأنت المجير من العاديه

بلى ؛ لقد كان ابراهيم يؤمن بالله ايماناً عميقاً صادقاً ؛ وقد ابتلاه ربه بالحرمان من نعمة العافية ، وهو في ريعان الشباب ، فما وجده الا صابراً متفائلا . وانك لتتصفح ما خلفه من مآثره الأدبية ، فتراه قد عرض فيها مراراً عديدة لذكر مرضه وسقمه ، ولكنه عرض مرح مبتسم ، لا روح للتشاؤم فيه ولا أثر لشكوى الزمان ، اذ كان المرح والابتسام خلقة في ابراهيم ، فلم يكن لينظر الى الدنيا الا من وجهها الضاحك المشرق ؛ وانظر الى هذه الأبيات لترى كيف كان يواجه تنكر العافية :

وطبيب رأى صحيفة وجهي شاحباً لونها ، وعودي نحيفا
قال : لا بد من دم لك نعطيه نقياً ، ملء العروق عنيفا
لك ما شئت يا طبيب ولكن أعطني من دم يكون خفيفا ..

ضعف في البنية شديد ، قد يبعث في غير ابراهيم التشاؤم والضجر ، ولكنه هو ، القوي بروحه ، المرح بطبيعته لا يدع النكتة تفلت منه وهو في أشد حالات المرض : « أعطني من دم يكون خفيفا » ..

غادر ابراهيم المستشفى موفور الصحة ، وعاد الى بلده بعد أن قدم استقالته الى المدرسة الرشيدية في القدس ، وقد عزم عزماً أكيداً على عدم العودة الى هذه المهنة ، مهنة التعليم ، مرة أخرى .

أمضى بعد ذلك عامين في نابلس ، خدم خلالهما مدة في دائرة البلدية ، وفي هذين العامين ، نظم ابراهيم مقطعاته الوطنية التي كان يوالي نشرها في جريدة (الدفاع) والتي كان يقبل عليها القراء بشغف عظيم ، لما فيها من

تصوير صادق لوضع فلسطين الخطير ، وتفكك الامة المريع ، في تلك الفترة من الزمن .

وفي سنة ١٩٣٦ استلم ابراهيم عمله الجديد في القسم العربي في اذاعة القدس . وقبل الحديث عن اعماله هناك ، أوثر أن أقف عند شعره وقفة قصيرة .

اذا قرأت شعر ابراهيم ، تجلت لك نفسه على حقيقتها ، لا يحجبها عنك حجاب ؛ ذلك انه كان ينظر نظراً دقيقاً في جوانب تلك النفس ، ثم يصوّر ما يعتلج فيها من عواطف وخلجات ، كأصدق ما يكون التصوير ؛ ومما كان يعينه على البراعة والصدق في التعبير ، علم غزير بفنون الكلام وأساليبه ؛ وهذا العلم كان نتيجة لاطلاعه الواسع على المآثر الأدبية الرفيعة ، من قديمة وحديثة ، الى جانب القرآن الكريم ، والحديث الشريف .

وما اعرف كتاباً أدبياً كان احب اليه من كتاب (الأغاني) ، فقد كان يرى فيه دنيا تغمرها الحياة على اختلاف ألوانها ؛ وناهيك (بالأغاني) من كتاب أدبي توفرت فيه المادة ، وتنوع الأسلوب ، واتسع فيه مجال القول في الأخبار والنوادر الأدبية على اختلافها .

وكما كان كتاب (الأغاني) من أحب كتب الأدب العربي الى ابراهيم فقد كان (المتنبي) من ناحية ، (والعباس بن الأحنف) من ناحية اخرى من أحب الشعراء اليه وأقربها من قلبه ؛ وكان الدكتور نيكل قد ساعده في الحصول على نسختين تصويريتين لديوان (العباس) من استنبول اذ كان في نية ابراهيم — لو أمهله الزمن — ان يخرج هذا الديوان في طبعة جيدة أنيقة .

وأما « شوقي » في الشعراء المعاصرين فهو سيد المكان في قلب ابراهيم .

يمكنك ان تقسم شعر ابراهيم الى ثلاثة أقسام : الغزليات ، والوطنيات والموضوعيات ؛ وهذه الأخيرة تمتاز بعمق الفكرة ، ودقة التصوير ، وقد حلق فيها الى آفاق الشعر العالي ؛ هنالك « الشهيد » و « الفدائي » و « الحبشي الذبيح » وغيرها . ولعل واسطة العقد في موضوعياته ، قصيدة « مصرع بلبل » وهي فتح جديد في القصة الشعرية ، نلمس فيها تأثر ابراهيم بالأدب الغربي دون ان يفقد مميزات خياله الخاص ، وتعبيراته الشعرية الخاصة .

وفي قصيدة « الشهيد » ، ينقلنا ابراهيم بدقة وصفه ، وروعة تصويره الى ما يثور في نفس الشهيد من عواطف ، واستقتال في سبيل الواجب الأسمى ، لا يبتغي من وراء ذلك ذيوع اسم ولا اكتساب صيت ، وانما هو عنصر الفداء ، وجوهر الكرم ، صيغت منها نفس الشهيد ، فهان عندها الموت في سبيل الله والوطن .

ومن موضوعياته الرائعة قصيدة « الحبشي الذبيح » وهي صورة حية ناطقة ، يرسم فيها ابراهيم حالة ذلك « الديك الحبشي » الأليمة حين يذبح ويأخذ يصفق بجناحيه ، ويجري من هنا وهناك ، مزورّ الخطى ، كأنما هو يلحق بالحياة التي استلبت منه . ولقد أوحى اليه بهذا الموضوع العنيف ، وقوفه يوماً برجل على جانب الطريق في بيروت يذبح ديوكاً حبشية يعدها لرأس السنة . واذا بالنفس الشاعرة يروعها ان لا يقوم السرور الا على حساب الألم ، واذا بها تفيض بأقوى الشعر التصويري الحي .

ونلتفت الآن الى ابراهيم شاعر الوطن ، الذي سجل آلام فلسطين وآمالها خلال الانتداب الانكليزي ، كما لم يسجله شاعر فلسطيني من قبل .

انظر اليه وقد خلد ثورة فلسطين وشهداءها سنة ١٩٢٩ في قصيدة « الثلاثاء الحمراء » ، ثم يوم عاد في الذكرى الرابعة لهؤلاء الشهداء فخلدهم مرة اخرى في قصيدة « الشهيد » كل ذلك في شعر لاهب حماسي ، فلا بكاء ولا استخذاء ، وانما هي صرخات مدوية مجلجلة ، تحفز الهمم ، وتثير الشعور بالعزة والاباء .

وأما بيع الأرض ، فلم يزل ابراهيم يصور لقومه الخطر الذي ينتظر البلاد من وراء البيع ، ولم يزل يفتح عيونهم على الشر الذي عم واستحكم من جراء ذلك :

اعداؤنا منذ ان كانوا صيارفة ... ونحن منذ هبطنا الأرض زراع
يا بائع الأرض لم تحفل بعاقبة ... ولا تعلمت ان الخصم خداع ..
لقد جنيت على الأحفاد والهفى !. ... وهم عبيد .. وخدام .. واتباع ..
وغرك الذهب اللماع تحرزه .. ... ان السراب كما تدريه لماع
فكر بموتك في ارض نشأت بها ... واترك لقبرك ارضاً طولها باع

وقد التفت ابراهيم مرات عديدة في شعره ، الى هذه الناحية . وحين نشرت الصحف ان زعيم الهند (غاندي) قد انذر انكلتره بالصيام مدى

الحياة ، ما لم تغير خطتها السياسية في الهنـــد ، راح ابراهيم يغمز ويقارن بين زعيم هنا .. وزعيم هناك :

حبـذا لو يصــوم منا زعـيم مثل (غندي) عسى يفيد صيامه
لا يصم عن طعامه ... في فلسطـين يموت الزعيم لولا طعامـه ..
ليصم عن مبيعـه الأرض يحفظ بقعـة تستريح فيها عظامـه !.

وهو في رثائه للمغفور له الملك فيصل ، يضرب على هذا الوتر نفسه ، مشيراً الى استقبال الجثمان الطاهر في فلسطين :

ما الذي اعـــددت من طيب القرى يا فلسطــين لضيـف معجـل
لا ارى ارضاً نلاقيــه بهـا ... قد اضــاع الأرض بيــع السفل
فاستري وجهــك لا يلمــح على صفحتيه الخزي فوق الخجـل !.

ولم يكن ليدع مناسبة تمر ، دون ان يشير الى هـذا الداء العضال ، الذي بليت به فلسطين . ولشد ما صب نقمته على تلك العصبــة الحقيرة ، عصبة السماسرة ، التي يقوم على يديها ضياع البلاد :

أما سمــاسرة البــلاد فعصبــة عار على اهل البـلاد بقاؤهـا
إبليس أعلن صـاغراً إفـلاسه لـمـا تحقق عنده اغراؤهـا
يتنعمون مكرمين ... كأنما لنعيمهم عم البـلاد شقاؤهـا
هم أهل نجدتها .. وان انكرتهم وهم ـ وأنفك راغم ـ زعماؤها..

ولـكم كانت تروعه تلك الحزبية التي يضطرم وقودها في البلاد ، فلا ينتج منها الا تفكك الأمة وشقاقها ، وفي ذلك ما فيـه من إعاقة السير نحـو الهدف الواحد :

وطني ، أخاف عليك قوماً أصبحوا يتساءلون : من الزعيم الأليق
لا تفتحوا باب الشقاق فـانه باب على سود الحـوادث مغلق
والله لا يرجى الخلاص وأمـركم فوضى ، وشمل العاملين ممزق

ولطالما نقد اصحاب الأحزاب في شعره وندد بهم ، لا يخص فريقاً دون فريق ، وانما يوجه القول اليهم جميعاً :

مالـكم بعضـكم يمزق بعضاً أفرغتم من العدو اللدود ؟
اذهبوا في البلاد طولا وعرضاً وانظروا مالخصمكم من جهود..
والمسوا باليدين صرحاً منيعاً.. شاد أركانه بعزم وطيد !
كل هذا استفاده بين فوضى وشقاق ؛ وذلة ؛ وهجود ..
واشتغال بالترهات ، وحب الذات .. عن نافع عميم مجيد

شهد الله ان تلك حيــاة فضلت فوقها حياة العبيــد

وما كان انكأ لقلب ابراهيم من خمود العزائم في حــاملي عبء القضية الوطنية ووقوفهم عند تقديم (البيانات) و (الاحتجاجات) ، لا يتعدونها الى غيرها من الاعمال المجدية ؛ انظر اليه يخاطبهم متهكماً :

انتم (المخلصون) للوطنية .. انتم الحاملون عبء القضيه ..
انتم العاملون من غير قول .. بارك الله في الزنود القويه ..
و (بيان) منكم يعادل جيشاً بمعـدات زحفه الحربيــه ..
و (اجتماع) منــكم يرد علينا غابر المجد من فتوح اميه ..
ما جحدنا (افضالكم) .. غير أنا لم تزل في نفوسنــا أمنيــه
في يدينا بقية من بــلاد .. فاستريحوا كي لا تطير البقيه ..

وبذلاقة ورشاقة ، كان ابراهيم يتغلغل بقلمه الى صميم الأشياء فيزيــح عنها الستر ويبين ما خفى وراءه من حقائق مرة ؛ ويا لهــا من مرارة يرسلها في شعره متألماً (لمظاهر العبث) التي كان يراها تغلب على ميــول الامة :

أمامك أيها العربي يوم تشيب لهوله سود النواصي
وأنت كما عهدتك .. لا تبالي بغير مظاهر العبث الرخاص
مصيرك بات يلمسه الأداني وسار حديثه بين الأقاصي
فلا رحب القصور غداً بباق لساكنها ، ولا ضيق الخصاص
لنا خصمان ، ذو حول وطول وآخر ذو احتيال واقتناص ..
تواصوا بينهم .. فأتى وبالا وإذلالا لنا ذاك التواصي
مناهج للابادة .. واضحات وبالحسنى تنفذ ، والرصاص ..

وأما وعد بلفور ؛ وأما هجرة اليهود الى هذا الوطن المنكود ، فلم يبرحا مجالا للقول ذا سعة في شعر ابراهيم ، وهدفاً يرمي اليه ، ويحوم حواليه .

وهكذا ، ترى شعره الوطني شعراً يحمل طابعاً فلسطينياً خاصاً ، كان حتماً ان تطبعه به احوال البلاد المضطربة في هذا العهد المظــلم من عهود فلسطين . وما كان ابراهيم ليفوز بلقب شاعر الوطن ، وشاعر فلسطين لو لم يسجل قضية بلاده في شعره القوي ، الذي يمتاز بذلك الطابــع الفلسطيني الخاص .. ولو لم تنعكس في ذلك الشعر اصدق صورة لهذا الوطن في هذا

تأسست اذاعة القدس سنة ١٩٣٦ ، ووقع الاختيار على ابراهيم ليكون مراقباً للقسم العربي فيها ؛ فاحتضن هذا القسم ، ولفه تحت جناحيه ، وتعهده بعنايته مدة أربع سنوات .

وفي سنة ١٩٣٧ تعرف ابراهيم (بسامية عبد الهادي) من احدى أسر نابلس ، فاتجه اليها قلبه ، وهناك استقر ؛ فأصبحت شريكة حياته . وعاش هانئاً في بيته ، سعيداً بعاطفة جديدة مقدسة هي عاطفة الأبوة ، اذ ولد له « جعفر » ثم ولدت « عريب » .

أقبل ابراهيم على عمله في الاذاعة بكل قلبه ، اذ كان مثل هـذا العمل يوافق ذوقه ويمشي مع ميوله ؛ ولم تمض مدة يسيرة على اشرافه على البرامج العربية ، حتى كانت تلك البرامج مرآة ينعكس عليها ذوق هذه البلاد ، وآراء اهلها العرب ؛ وكان أكبر همه ان تكون الأحاديث قريبة من مستوى العقول على اختلاف طبقاتها ؛ لا سيما الأحاديث الاخلاقية ، فكان يصل الى هذا الغرض التهذيبي بطريقة لا يشك في نجاحها ، وهي طرق هذه الموضوعات من نواح ثلاث : الآية القرآنية ، الحديث الشريف ، المثل المشهور . ولكل من هذه النواحي أثرها البعيد في العقليات المختلفة لأهل المدن والقرى على السواء ، لما لها من علاقة ماسة بالحياة الاجتماعية .

ولقد كان لابراهيم في الاذاعـة أحاديث أدبية كثيرة ، أضف الى ذلك قصصاً وروايات تمثيلية ، كان يصنعها بنفسه ، وأناشيد ، منها ما كان ينظمه لبعض البرامج الخاصة ، كنشيد « أشواق الحجاز » والنشيد الذي وضعه في رثاء المغفور له الملك غازي ؛ ومنها ما كان ينظمه لأحاديث الأطفال .

لم تكن الوظيفة لتقعد بابراهيم عن تقديم رسالته الى هـذا الوطن الذي تفانى في حبه ، وجع له همّ قلبه ؛ ولئن كانت قد اعترضت لهاة بلبل الوطن الفريد ، وحالت دون تسلسل أغانيه الوطنية الشجية ، التي طالمـا أيقظت القلوب النائمة ، وألهبت النفوس الهامدة ، فلم تـكن لتستطيع ان تحول دون حبه لهذا الوطن ، وبذله اقصى مجهوده لخدمة أمته عن طريق الاذاعة ...

ولعل من أهم ما قام به هناك ، تصديه لفئة غير عربية .. كانت تسعى سعيها لتنشيط اللغة العامية ، وجعلها اللغة الغالبة على الأحاديث العربية المذاعة..

وكانت حجتها في ذلك ، ان الاذاعة لا يمكنها ان تحقق الغرض الذي هدفت اليه ، وهو نفع الطبقة المتوسطة ، اذا جرت على استعمال اللغة الفصحى.. لأن هذه الطبقة من اهل المدن والفلاحين ، لا تحسن اللغة الفصحى ، على حد تعبير أصحاب القول بتنشيط اللغة العامية ، ولا تفهم اللغة العربية (القديمة) التي جرى عليها المذياع ! ...

وقف ابراهيم وقفة حازمة أمام هذا الرأي ؛ ونقضه يومئذ بحجج دامغة ، اظهرهم فيها على ان المذياع لم يجر على اللغة العربية القديمة ، وانه ليس في بلاد العرب من يعرف هذه اللغة بالمعنى الذي قصده أصحاب القول باللغة العامية ، غير أفراد متخصصين . وهي عندنا لغة الجاهلية التي قضى عليها القرآن باسلوبه الجديد المبتدع . وان عندنا اليوم لغة عربية صحيحة ، يصطنعها المؤلفون ومحررو الجرائد ، ويفهمها المتعلم والأمي على السواء .. وان الفلاحين ، وجلهم من الأميين ، لتقرأ عليهم الجريدة ، فيناقشون القارىء في افتتاحيتها . ولا يعقل ان يناقش المرء في شيء لم يفهمه . هذا وان العرب ، مسلمين ومسيحيين ، يدينون بالقومية ؛ وهذا مشروع غايته القضاء على اللغة العربية ، وهي عندنا كل ما بقي من ذلك التراث الطويل العريض الذي اجتمع لنا من الفتوحات والحضارات والعلوم والآداب والفنون .. فما من عاقل اليوم ، يعرف قدر نفسه ويعتز بعربيته ، يرضى عن العبث بهذا التراث الباقي ، والقضاء عليه بيده ...

بهذه الصراحة التي عرفت لابراهيم في كل موقف ذي خطر ، هزمت تلك الفئة التي اعترفت على اثر ذلك ، بأن ابراهيم يحتاج الى جلسات اخرى ، لتزعزع أركان عقيدته في لغته ... واستغفر الله ، وحاشا لابراهيم ...

ولشد ما لقي من صعوبات أثناء عمله ، اذ كانت فلسطين خلال السنوات الأربع التي خدم فيها في الاذاعة ، في ظرف دقيق جداً ، ففي السنوات الثلاث الاولى ، كانت الثورة في فلسطين قائمة على ساقها ، وفي السنة الرابعة ، كانت الحرب العالمية الأخيرة .

أما الصعوبات التي لقيها في عمله أثناء الثورة ، فتنحصر في ذلك الشغب الذي كان يدور حوله من قبل بعض الجهات اليهودية ، ووقوفها له بالمرصاد في كل ما يذيعه من أحاديث ، او ما يذيعه غيره من المحدثين العرب ؛ فكانت تلك الجهات اليهودية تخرج كل ما يقال تخريجاً سياسياً ، وتشكل

من القصة ذات اللغة البسيطة ، والوضع المحكم ، شعوباً ودولا ، وحكومات وانتدابات .. ولم تكن لترى في الأحاديث الأخلاقية ، الا تحريضاً تحت قناع ديني .. وأما الدعاية فقد كانت في رأيها مبثوثة في الموضوعات التاريخية!. زد على ذلك ، قول تلك الجهات اليهودية بأن الأحاديث النبوية ، والأمثال المشهورة التي تقدم في الاذاعة ، فيها الخطر كل الخطر !. اذ يطلب فيها من الأمهات ان ينشئوا اطفالهم بعضلات قوية ؟ ومنشأ الخطر على زعمها هو ان تلك التنشئة القوية ، انما يقصد من ورائها القدرة في المستقبل على المقاومة...

وعن الطريق الأقصر ، فالبرنامج العربي الذي كان يشرف عليه ابراهيم مسخر للتحريض .. كما كانت تقول الصحف اليهودية ..

وهكذا كانت توضع في الميزان جل احاديث القسم العربي في الاذاعة ، فيناقش ابراهيم فيها ، ويحاسب عليها ، ولكنه كان يعرف كيف يقف امام ذلك كله ...

وانتهت الثورة ، وقامت الحرب العالمية الثانية ، فكانت الرقابة على الصحف والنشر والاذاعة .

ومن قبل بعض المشرفين عليها يومئذ ، قامت الدعاية السيئة وقام التحريض ضد ابراهيم .

وكانت قصة (عقد اللؤلؤ) أو (جزاء الأمانة) التي اقتبسها ابراهيم من كتاب (الاعتبار) لأسامة بن منقذ ، وقدمها في المذياع في احد برامج الاطفال . فأخذ الرقيب وعصبته تلك القصة ، وخرجوها تخريجاً يكفل لهم استفزاز المستعمر .. فإذا بتلك القصة التي تشيد بالأمانة والوفاء تشهر سلاحاً في وجه ابراهيم او بالأحرى في ظهره ، من قبل من لا يعرف قيمة لمعنى الأمانة المقدس .

تكاثفت جموع الشر على ابراهيم من هنا وهناك ، فأقيل من عمله في اول اوكتوبر سنة ١٩٤٠ .

واذا كان بوسع أحد من الناس ، ان يبيع ضميره ، ويضرب بمبدأه وعقيدته عرض الحائط ، فيظل هانئاً بعمله ، قرير العين ، فما كان بوسع ابراهيم ان يفعل ذلك ، وهو الأبي النفس ، العيوف للاستخذاء والذل ، وهو الذي كان يتحول عن الحظ السعيد يأتيه وفيه جرح لكبريائه وكرامته ، أو خلاف لعقيدته ، كما يتحول المؤمن الصادق عن وسوسة الشيطان .

اشمأزت نفس ابراهيم ، وعافت البقاء بين قوم لا خلاق لهم .. فآثر

الرحيل عن وطنه الذي تفانى في حبه ، وأذاب روحه في مناجاته ؛ وعـزم على الرحيل الى العراق ، بلد العروبة والعزة .

وفي مساء اليوم الذي اقيل فيه ابراهيم من عمله ، خف صديقه أكرم بك الركابي الى السيد طالب مشتاق ، قنصل العراق في القدس يومئـذ ، وأطلعه على ما جرى بابراهيم ؛ وفي محادثة تلفونية من قبل السيد طالب ، الصديق المحب ، سجل اسم ابراهيم في وزارة المعارف في بغداد ليزاول مهنة التعليم في أحد معاهد العلم هنـاك ؛ ولقد كان ذلك بسرعة ، ودون أخذ ورد ، اذ كان ابراهيم معروفاً لدى الأوساط الأدبية الرفيعة في العراق .

ولقد لاقى من والده معارضة شديدة بشأن ذلك الرحيل ، والحاحاً عليه بالبقاء عنده في نابلس ؛ ولكن ابراهيم ، على بره بوالده براً يفوق الوصف ، وعلى تعلقه العجيب بوالديه واخوته - ولقد كان هذا البر وهذا التعلق من خلائق ابراهيم الممتازة ـ سافر الى العراق وهو عازم عزمـاً أكيداً على عدم العودة الى فلسطين مدى الحياة !

ومن هؤلاء الذين يصدق فيهم قول يزيد بن المهلب : « هم اهل العراق ، اهل السبق والسباق ، ومكارم الأخلاق » وجد ابراهيم على ابواب بغداد من ينتظره من الأصحاب العراقيين ؛ وفي بيت السيد محمـد علي مصطفى ، الاستاذ في دار المعلمين العليا ، نزل ابراهيم وأهله معززين مكرمين ، اذ لم يكن قد تهيأ بعد . وفي دار المعلمين الريفية في الرستمية ، باشر عمله .

كان للمعاملة السيئة التي لقيها ابراهيم في وطنه وبين قومه تأثير كبير على بنيته النحيلة ؛ فلم تكن تلك البنية لتحتمل كل هـذه الآلام النفسية التي كابدها ابراهيم خلال شهور ، وهو الرقيق الشعور المرهف الاحساس الى حد يكاد يكون مرضاً . فلم يكد يمضي شهران على اقامته في العراق حتى وقع فريسة العلة والسقم ، مما حمله الى العودة الى نابلس قبـل انتهـاء الفصل الدراسي الثاني .

ونهكت الاسقام ابراهيم ، فنقل الى المستشفى الفرنسي في القدس ، وبعد ايام قليلة ، وفي مساء الجمعة ، الثاني من شهر مايو سنة ١٩٤١ اسنـد ابراهيم رأسه الى صدر أمه ، وقد نزف دمه ، وخارت قواه ، وهناك اسلم روحه الطاهرة الى بارئه ، واستراح استراحة الأبد .

كان لابراهيم - رحمه الله - مصحف صغير ، لا يخـلو منه جيبه ، تبركا به من جهة ، وليكون في متنـاول يده كل حين من جهة اخرى .

فلما توفاه بارئه ، كان ذلك المصحف تحت وسادته ، ولا تزال الى اليوم ثنية ثناها في احدى صفحات سورة (التوبة) . وكانت هذه الآيات الشريفة آخر ما تلاه ابراهيم من كتاب الله اثناء مرضه ؟ ولقد آثرت ان اختم بها الحديث عن حياة ابراهيم ارضاه لروحه :

« الَّذِين آمَنُوا وجَاهَدُوا في سَبِيلِ اللهِ بأمْوالهِم وأنفُسِهم أعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ ، وأولَئِكَ هُمُ الفائزون . يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ ورِضْوان وجَنَّاتٍ لَهُمْ فيها نَعِيمٌ مُقِيم . خالِدِينَ فِيها أبداً إنَّ اللهَ عِنْدَهُ أجْرٌ عَظِيم » .

وطنیات

الشـهيد

عبس الخطبُ فابتسمْ   وطغى الهولُ فاقتحمْ
رابطَ الجأشِ والنُّهى   ثابتَ القلبِ والقدمْ
لم يُبالِ الأذى ولم   يَثْنِه طارىءُ الألمْ
نفسُه طَوْعُ هِمَّةٍ   وَجَمَتْ دونَها الهممْ
تلتقي في مزاجِها   بالأعاصير والحُممْ
تجمعُ الهائجَ الخِضَمّ   الى الراسخِ الأشَمّْ
وَهْيَ من عُنصرِ الفِداءِ   ومن جوْهرِ الكرمْ
ومن الحقّ جذْوةٌ   لفحُها حرّرَ الأممْ

سارَ في منهج العلى   يطرُقُ الخلدَ منزلا
لا يبالي ، مكبّلا   نالَهُ أمْ مُجدَّلا
فهو رهْنٌ بما عزمْ

ربما غالَهُ الرَّدى وهو بالسجنِ مُرتهن
لم يُشيَّعْ بدمعةٍ من حبيبٍ ولا سَكَن
ربما أُدرج التراب سليباً من الكفن
لستَ تدري بطاحُها غيَّبتْهُ أم القُنن
لا تقلْ أين جسمُه واسمُه في فم الزمن
انه كوكبُ الهدى لاحَ في غيْهبِ المحن
أرسلَ النُّورَ في العيونِ ، فما تعرفُ الوسن
ورمى النارَ في القلوبِ ، فما تعرفُ الضَّغن

أيُّ وجهٍ تهلّلا يَرِدُ الموتَ مُقْبلا
صعَّدَ الرُّوحَ مُرسلا لحنَهُ يُنْشِدُ الملا
أنا لله والوطن

الثلاثاء الحمراء *

مقدمة

لَمَّا تَعَرَّضَ نَجْمُكَ المنحوسُ   وترنَّحت بِعُرى الحِبالِ رؤوسُ
ناح الأذانُ وأعولَ الناقوسُ   فالليل أكدرُ، والنَّهارُ عَبوسُ
طَفِقَتْ تثورُ عواصفُ   وعواطفُ
والموتُ حيناً طائفُ   أو خاطفُ
والمِعْولُ الأبديُّ يُمْعِنُ في الثرى   لِيردَّهمْ في قلبِها المتحجِّرِ

(*) حاول اليهود في صيف ١٩٢٩ الخروج على التقاليد الثابتة المتعلقة بصلاتهم في موقع (البراق) . فهاج العرب لأنهم فطنوا الى ما يضمر اليهود من وراء هذه المحاولة من اعتداء على الأماكن الاسلامية المقدسة ونشبت في القدس والخليل ويافا وصفد اضطرابات دامية بين اليهود والعرب قتل فيها من اليهود عدد كبير في مدينتي الخليل وصفد . ثم ألقت السلطات البريطانية القبض على بعض الشبان واتهمتهم بقتل اليهود وحوكموا . وصدرت احكام الاعدام على الشهداء الثلاثة وهم فؤاد حجازي من صفد ، ومحمد جمجوم وعطا الزير من الخليل . رحمهم الله جميعاً .

يومٌ أطلَّ على العصور الخاليَهْ ودعا: «أمرَّ على الورى أمثاليَهْ؟»
فأجابَهُ يومٌ: «أجلْ أنا راويَهْ لمحاكمِ التَّفتيش، تلكَ الباغيَهْ
ولقد شهدتُ عجائبا وغرائبا
لكنَّ فيكَ مصائبا ونوائبا
لم ألْقَ أشباهاً لها في جوْرِها فاسألْ سوايَ وكم بها مِنْ منكَرِ»

*

واذا بيومٍ راسفٍ بقيودِهِ فأجابَ، والتاريخُ بعضُ شهودِهِ:
«أنظرْ الى بيضِ الرَّقيقِ وسودِهِ مَنْ شاءَ كانوا مُلكَهُ بنقودِهِ
بشرٌ يُباعُ ويُشترى فتحرَّرا
ومشى الزَّمانُ القهقرى فيما أرى ...
فسمعتُ مَنْ منعَ الرَّقيقَ وبيْعَهُ نادى على الأحرارِ يا مَنْ يشتري!»

*

واذا بيومٍ حالكِ الجِلْبابِ مُترّنحٍ من نَشوةِ الأوْصابِ
فأجابَ: «كلاَّ، دون ما بكَ ما بي أنا في رُبى (عاليه) ضاع شبابي

وشهدتُ للسفّاحِ ما — أبكى دما

ويلٌ له ما أظلما — لكنما ...

لم ألْقَ مِثْلَكَ طالعاً في روعةٍ — فاذهبْ لعلّكَ أنتَ يومُ المحشرِ »

*

(اليومُ) تُنكرهُ الليالي الغابرهْ — وتظلُّ ترْمقُه بعينٍ حائرهْ

عجباً لأحكام القضاءِ الجائرهْ — فأخفُّها أمثالُ ظلمٍ سائرهْ

وطنٌ يسيرُ إلى الفناءْ — بلا رجاءْ

والداءُ ليس له دواءْ — إلاّ الاباءْ

إنَّ الاباءَ مناعةٌ ، إن تَشْتَمِلْ — نفسٌ عليه تَمُتْ ولمّا تُقهرِ

*

الكلُّ يرجو أن يُبكّرَ عفوُهُ(١) — ندعوله ألاّ يُكدّرَ صفوُهُ ..!

إنْ كان هذا عطفُهُ وحُنوُّهُ ... — عاشتْ جلالتُهُ وعاشَ سموُّهُ..!

حمَلَ البريدُ مُفصّلا — ما أجملا

هلاّ اكتفيتَ توسُّلا — وتسوُّلا

---

(١) الضمير يعود الى المندوب السامي البريطاني في فلسطين وقد ألحت الهيئات السياسية العربية عليه ليصدر العفو فلم يفعل ...

والموتُ في أخذِ الكلامِ وردِّهِ　　فخذِ الحياةَ عن الطَّريقِ الأقصرِ

*

ضاق البريدُ وما تغَيَّرَ حالُ　　والذُّلُّ بين سطورِنا أشكالُ
خُسْرانُنا الأرواح ، والأموالُ　　وكرامةٌ ـ يا حسرتا ـ أسمالُ
أوَ تُبصرونَ وتسألونْ　　ماذا يكونْ ! ؟
إنَّ الخداعَ له فنونْ　　مِثْلَ الجنونْ
هيهاتَ ،فالنفسُ الذليلةُ لو غَدَتْ　　مخلوقةً من أعينٍ لم تُبْصرِ !

*

أنّى لشاكٍ صوتُه أنْ يُسْمَعا　　أنّى لباكٍ دمعُه أنْ يَنفعا
صخرٌ أحسَّ رجاءَنا فتصدَّعا　　وأبى الرجاءُ قلوبَهم فتقطَّعا ..
لا تعجبوا ، فمن الصخورْ　　نبعٌ يفورْ
ولهم قلوبٌ كالقبورْ　　بلا شعورْ
لا تلتمسْ يوماً رجاءً عندَ مَنْ　　جرَّبْتَهُ فوجدتَهُ لم يَشْعُرِ

٦

الساعات الثلاث

الساعة الأولى

انا ساعةُ النفسِ الأبيَّهْ الفضلُ لي بالأسبقيَّهْ
أنا بِكْرُ ساعاتٍ ثلاثٍ كلها رمزُ الحميَّهْ
بِنْتُ القضيَّةِ إنَّ لي أثراً جليلاً في القضيَّهْ
أثَرَ السُّيوف المَشْرَفيَّةِ والرماحِ الزاغبيَّهْ
أودعتُ في مُهجِ الشبيبةِ نفْحةَ الرُّوحِ الوفيَّهْ
لا بدَّ من يوم لهم يَسْقي العدى كأسَ المنيَّهْ
قسماً بروح (فؤاد) تصعدُ من جوانحِهِ زكيَّهْ
تأتي السماءَ حفيَّةً فتحلُّ جنَّتَها العليَّهْ
ما نال مرتبةَ الخلودِ بغيْرِ تضحيةٍ رضيَّهْ
عاشتْ نفوسٌ في سبيلِ بلادِها ذهبتْ ضحيَّهْ

الساعة الثانية

أنا ساعةُ الرجل العتيـــدِ   أنا ساعةُ البأسِ الشديدِ
أنا ساعةُ الموت المشرِّفِ كلَّ ذي فعـــلٍ مجيدِ
بَطلي يُحطِّمُ قيدَهُ ـ   رمزاً لتحطيم القيودِ [1]
زاحمتُ مَنْ قَبْلي لأسْبِقَها الى شَرَفِ الخـــلودِ
وقَـدَحْتُ في مُهَجِ الشبابِ شرارةَ العزمِ الوطيـدِ
هيهاتَ يُخدَعُ بالوعودِ ، وأن يُخدَّرَ بالعهـــودِ
قسماً بروحِ (محمدٍ) :   تَـلْقى الردى حُلْوَ الورودِ
قسماً بأُمِّـكَ عنـــد موتِـكَ وهي تهتفُ بالنَّشيـدِ
وترى العزاءَ عَنْ ابنِها   في صيتِه الحسنِ البعيـدِ
ما نال مَنْ خـــدمَ البلادَ أجَـلَّ من أجْـرِ الشهيدِ

---

(١) نفذ حكم الاعدام بالأبطال الثلاثة في ثلاث ساعات متواليـــة . فكان أولهم فؤاد حجازي وثانيهم محمد ججوم وثالثهم عطا الزير . وكان المقرر رسمياً أن يكون الشهيد عطا ثانيهم ولـكن ججوماً حطم قيده وزاحم رفيقه على الدور حتى فاز ببغيته !

الساعة الثالثة

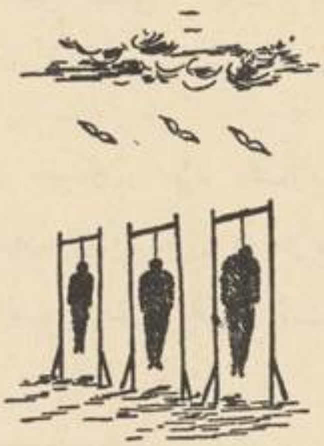
أنا ساعةُ الرّجل الصَّبورِ   أنا ساعةُ القلبِ الكبيرِ
رمزُ الثَّباتِ الى النِّهاية في الخطيرِ من الأمورِ
بَطلي أشدُّ على لقاءِ الموتِ من صُمِّ الصُّخورِ
جذلان يرتقبُ الرَّدى   فاعجبْ لموتٍ في سرورِ
يَلْقى الالَه (مُخضَّبَ الكفَّيْن) في يومِ النُّشورِ
صَبْرُ الشبابِ على المصابِ وديعتي ملءُ الصُّدورِ
أنْذرتُ أعداءَ البلادِ   بشرِّ يومٍ مُستطيرِ
قسماً بروحك يا (عطاء) وجنَّةِ المليكِ القديرِ
وصغارِكَ الأشبالِ تبكي اللَّيثَ بالدَّمعِ الغزيرِ
ما أنقذَ الوطنَ المفدَّى   غيرُ صبَّارٍ جسورِ

الخاتمة

الأبطال الثلاثة

أجسادهمْ في تربةِ الأوطانِ   أرواحُهم في جنَّةِ الرّضْوانِ
وهناكَ لا شكوى من الطغيانِ   وهناك فيْضُ العفْوِ والغفرانِ

لا ترجُ عفواً من سواهْ   هو الالهْ
وَهْوَ الذي ملكت يداهْ   كلَّ جاهْ
جَبَرُوتُه فوقَ الَّذين يغرّهمْ   جَبَرُوتُهمْ في برِّهمْ والأبحرِ



تفاؤل وأمل *

كَفْكِفْ دموعَكَ ، ليس ينفعُكَ البكاءُ ولا العويلُ
وانهضْ ولا تشكُ الزمانَ ، فما شكا الاَّ الكسولُ
واسلكْ بهمَّتِكَ السَّبيلَ ، ولا تقلْ كيف السَّبيلُ
ما ضَلَّ ذو أملٍ سَعى يوماً وحكمتُه الدَّليلُ
كلاَّ ، ولا خاب أمرؤٌ يوماً ومقْصدُه نبيلُ

أفْنَيْتَ يا مسكينُ عمرَك بالتَّأوُّهِ والحزَنْ
وقعدتَ مكتوفَ اليدْين تقولُ : حاربني الزَّمنْ
ما لمْ تقمْ بالعبءِ أنتَ ، فمَنْ يقوم به اذن ؟

*

(*) القيت في الحفله التي اقامتها كلية النجاح الوطنية في نابلس في نهاية العام الدراسي ١٩٢٨ وكانت الروح الوطنية قد دخل عليها الكثير من الوهن والتشاؤم ، كما راج في اثناء ذلك سوق الدجالين من محترفي الوطنية الزائفة .

كم قلتَ : « امراض البلاد » ؛ وأنتَ من أمراضها
والشؤْمُ عِلَّتُها : فهلْ فتّشتَ عن أعْراضها
يا مَنْ حَمَلْتَ الفأْسَ تهدِمها على أنقاضِها
أُقعدْ فما أنتَ الذي يَسْعى الى إنهاضها
وانظرْ بعينيْك الذئابَ تَعُبُّ في أحواضها

وطنٌ يُباع ويُشترى وتصيحُ :« فليحيَ الوطنْ »؟!
لو كنتَ تبغي خَيْرَهُ لبذلتَ من دمِك الثمنْ
ولقمتَ تَضْمِدُ جرحَهُ لو كنتَ من أهلِ الفطنْ

*

أضحى التشاؤُمُ في حديثك بالغريزَةِ والسّليقَهْ
مِثْلَ الغرابِ ، نَعى الدّيارَ وأسْمعَ الدّنيا نعيقَهْ
تِلكَ الحقيقةُ ، والمريضُ القلبِ تجرحُهُ الحقيقَهْ
أمَلٌ يلوحُ بريقُه فاستَهْدِ يا هذا بَريقَهْ
ما ضاقَ عَيْشُك لو سعيتَ له ، ولوْ لمْ تشْكُ ضِيقَهْ

لكِن توهَّمتَ السَّقامَ ، فأسقمَ الوَهمُ البدنْ
وظننْتَ أنكَ قدْ وَهنْتَ فَدَبَّ في العظم الوهنْ
والمرءُ يُرْهِبُهُ الرَّدى ما دام ينظرُ للكفنْ

*

أللهَ ثم اللهَ ما أحْلى التَّضامُنَ والوفاقا !
بوركْتَ مُؤتمراً تألَّفَ لا نزاعَ ولا شقاقا (١)
كمْ مِنْ فؤادٍ راقَ فيه ، ولم يكنْ مِنْ قبلُ راقا
اليومَ يشربُ موطني كأسَ الهناءِ لكمْ دهاقا
لا تعبأوا بمشاغبين ترَوْنَ أوْجهَهم صِفاقا

لا بُدَّ من فئةٍ ـ أجلُّكُم ـ تَلَذُّ لها الفِتَنْ
تلك النفوسُ مِنَ الطُّفولةِ أرْضِعَتْ ذاكَ اللبن
نَشأتْ على حُبِّ الخِصامِ ، وبات يَرْعاها الضَّغَنْ

(١) عقد في تلك السنة مؤتمر « عربي عام » في القدس الشريف .

لا تَحْفِلوا بالمُرْجفينَ ، فإنَّ مَطْلَبَهمْ حقيرُ
حُبُّ الظهورِ على ظهورِ الناسِ مَنْشَأُه الغرورُ
ما لمْ يكنْ فَضْلٌ يَزِينُك فالظهورُ هو الفجورُ
سيروا بعَيْنِ اللهِ ؛ أنتمْ ذلكَ الأمَلُ الكبيرُ
سيروا فقدْ صَفَت الصُّدورُ ؛ تباركَتْ تلكَ الصُّدورُ

سيروا فَسُنَّتكُمْ لخيْرِ بلادكمْ خَيْرُ السُّنَن
شُدُّوا المودَّةَ والتآلفَ والتَّفاؤُلَ في قَرَنْ
لا خوْفَ إنْ قامَ البِناءُ على الفضيلةِ وأرتكنْ

*

حيِّ الشبابَ وقُلْ سلاماً إنَّكمْ أمَلُ الغدِ
صَحَّتْ عزائمُكُمْ على دفْعِ الأثيمِ المعتدي
واللهُ مَدَّ لكمْ يداً تعْلو على أقوى يدِ
وطني أزُفُّ لك الشَّبابَ كأنَّهُ الزَّهَرُ النَّدي
لا بُدَّ من ثمرٍ لهُ يوْماً وانْ لمْ يَنْعقِدِ

٧

رَيحانُه العلمُ الصَّحيح ، وروحُه الخلقُ الحسنْ
وطني ، وانَّ القلبَ يا وطني بحبِّكَ مُرتَهَنْ
لا يطمئِنُّ ؛ فإنْ ظفِرْتَ بما يُريدُ لكَ اطمأنْ

الى بائعي البلاد ..

باعوا البلادَ الى أعدائهم طمعاً
بالمال لكنما أوطانهم باعوا ...
قد يُعذرون لو أنّ الجوعَ أرغمهم
واللهِ ما عطشوا يوماً ولا جاعوا
وبُلْغَةُ العارِ عند الجوع تلفِظُها
نفسٌ لها عن قبولِ العار ردّاعُ
تلك البلادُ إذا قلتَ: أسمُها «وطنٌ»
لا يفهمون ، ودون الفَهْم أطماع

*

أعداؤنا ، منذ أنْ كانوا ، (صَيارفةٌ)
ونحن ، منذ هبطنا الأرضَ ، (زُرّاعُ)
لَمْ تعكسوا آيةَ الخلاّقِ ، بل رجعت
الى اليهود بكم قربى وأطباعُ

يا بائعَ الأرضِ لم تحفِل بعاقبةٍ
ولا تعلَّمتَ أنَّ الخصمَ خدّاعُ

لقد جنيتَ على الأحفاد ، والهفي
وهم عبيدٌ ، وخُدّامٌ ، وأتباعُ !

وغرّك الذّهبُ اللّماعُ تحرزُهُ
إنّ السّرابَ كما تدريه لمّاعُ

فكِّر بموتكَ في أرضٍ نشأتَ بها
واترك لقبرك أرضاً طولها باعُ

اشتروا الأرض تشتريكم من الضيم

حبّذا لو يصومُ منّا زعيمٌ   مثلُ (غَنْدي) عسى يُفيدُ صيامُهْ
لا يَصُمْ عن طعامِه ... في فلسطين يموت الزعيمُ لولا طعامُهْ ...
لِيَصُمْ عن مبيعِه الأرضَ يحفظْ   بقعةً تستريحُ فيها عظامُهْ
باركَ اللهُ في حريصٍ على الأرضِ غيورٍ يُنْهى اليها اهتمامُهْ
هم حماةُ البلاد من كل سوءٍ   وَهُمُ معقِلُ الحمى ودِعامُهْ
نهجوا منهجَ القويِّ وصفُّوا   لجهادٍ منصورةٌ أعلامُهْ

*

إنما عُدَّةُ الضعيفِ (احتجاجٌ)   لم يجاوزْ حدَّ السطورِ احتدامُهْ
كلَّ يومٍ حزبٌ وحُلْمٌ فحدِّثْ   عن ضعيفٍ سلاحُهُ أحلامُهْ
مغرمٌ بالبلادِ صَبٌّ ولكنْ   بسوى القول لا يفيضُ غرامُهْ
بَطلٌ إنْ علا المنابرَ، كرّارٌ، سريعٌ عند الفعالِ انهزامُهْ !!

آزِروا القائمينَ بالعمل الصالح إنَّ الأبيَّ هذا مَقامُهْ (١)
آزروهم بالمال فالأرضُ (صندوقٌ) لمالِكم ، بل قِوامُهْ
اشتروا الأرضَ تشتريكم من الضَّيمِ وآتٍ مُسْوَدَّةٌ أيامُهْ ...

---

(١) الاشارة الى الذين قاموا بمشروع (صندوق الأمة) وكانت غايته انقاذ الأراضي في فلسطين .

يا رجال البلاد

لا تبالي بألْفِ خَطبٍ عراها　　نفسُ حُرٍّ مفجوعةٌ بحِماها
شفَّها الغيظُ والأسى وتراها　　كَظمتْ غيظها ، وأخفتْ أساها
كلما أوشكتْ تسيلُ دموعي　　ملكَ اليأسُ غَرْبَها فثناها
لا تلُمْني ، فكم رأيتُ دموعاً　　كاذباتٍ ضحكتُ ممَّنْ بكاها
قد سقى الأرضَ بائعوها بكاءً　　لَعَنَتْهُمْ سهولُها ورباها
وطني مبتلىً بعُصبةِ (دلاَّلين) لا يتَّقونَ فيه اللهَ
في ثيابٍ تُريكَ عِزاً ولكنْ　　حَشْوُها الذُّلُّ والرِّياءُ سَدَاها
ووجوهٍ صفيقةٍ ليس تَنْدى　　بجلودٍ مدبوغةٍ تغشاها
وصدورٍ كأنهنَّ قبورٌ　　مظلماتٌ قلوبُهمْ مَوْتاها
حُسِبوا في الرجالِ ، هلْ كانتْ الأنعامُ إلاَّ لمثلِهم أشباها .. ؟

*

يا رجالَ البلادِ يا قادةَ الأمَّةِ ماذا دهاكُمُ ودهاها ..؟

هل لديكمْ سياسةٌ غيرَ هذا القَول يُحيي من النفوس قواها
صَكَّت الألسنُ المسامعَ حتى لَقِيَتْ منْ ضجيجكم ما كفاها
عرفَ الناسُ والمنابرُ والأقلامُ أفضالَكم فهاتوا سواها
كلكم بارعٌ بليغٌ ـ بحمد الله ـ طَبٌّ بحالنا ودواها
غيرَ أنّ المريضَ يرقبُ منكمْ هذه الجَرْعةَ التي لا يراها
كان أوْلى بكم لو أنّ مع القول فعالاً محمودةً عُقباها
مَثَلُ القولِ لا يؤيِّدُه الفِعلُ، أزاهيرُ لا يفوحُ شذاها
وهو كالدَّوْحةِ العقيمِ: ظلالٌ واخضرارٌ ولا يُرجَّى جناها

*

رحم اللهُ مخلصاً لبلادٍ ساوموه الدّنيا بها فأباها
لو أتوْهُ بالتّبر وَزْنَ ثراها لأباهُ وقال أفدي ثراها
أنفروا أيها النيامُ فهذا: يومَ لا ينفعُ العيونَ كراها
كُشِفَتْ منكمُ المقاتلُ وامتدّتْ اليها المثقفاتُ قناها
نبّئوني عن القويّ متى كان رحيماً، هيهاتَ مَنْ عزّ تاها
لا يلينُ القويُّ حتى يُلاقي مثلَهُ عِزّةً وبطشاً وجاها
لا سمتْ أمّةٌ دهَتْها خطوبٌ أرْهَقَتْها ولا يثورُ فتاها

فلسطين مهد الشقاء

كان بعض الناس في الأقطار العربية المجاورة يرون الثراء الزائف الذي تمتعت به قلة من السماسرة وباعة الأراضي العرب فتعمى قلوبهم عما وراء هذه البيوع من خطر سيحل بفلسطين .

إخوانَنا أهل الوفاءِ أهلَ المودّةِ والولاءِ
مِن كلِّ قُطرٍ بالعُروبة ذي ازدهارٍ وازدهاءِ
أحبابَنا لا تُخدَعوا عنّا بظاهرةِ الرّخاء ...
ليستْ فلسطينُ الرخيَّةُ غيْرَ مهدٍ للشّقاءِ
عُرِضَتْ لكم خلفَ الزّجاج تميسُ في حلل البهاءِ
هيهات ذلكَ إنّ في بَيْعِ الثّرى فَقْدَ الثّراءِ
فيه الرحيلُ عن الربوع غداً إلى وادي الفناءِ !(١)
فاليوم أمرحُ كاسياً وغداً سأنبذ بالعراءِ

---

(١) لقد تحققت تلك النبوءة .

وأضَـعْتُ صادقـةَ الرَّجاءِ فأينَ كاذبةُ الرَّجـاءِ
مَنْ ذا ألومُ سـوى بني وطني على هذا الـبَلاءِ

*

للحَـقِّ سَـطْرٌ في صحافـتِنا وللتَّـضليلِ نهرُ
قلِّـبْ صحائـفَها يُـطِلُّ عليك بهتانٌ وهُجْرُ
للخاملين نبـاهـةٌ فيها وللأغمارِ ذكرُ
هذا يُقالُ له الزّعيمُ .. كما يُقالُ لذاكَ حُرٌّ ..
وهناكَ سمْسارُ البـلادِ فإنه الشَّـهمُ الأغرُّ
فالمدحُ مثلُ القدحِ تـضمنُـهُ لهم خُـضْرٌ وحمرُ (١)
تلك الصحافة (كيمياء) لهـا بخلق الله سِرٌّ ..
تدع الـكرامةَ وهي هزلٌ والمروءةَ وهي سُـخْرُ
أين الصحافيُّ الـصريحُ تراهُ يعلن ما يُسِـرُّ
صلْـبٌ فلا قُـرْبى تميـلُ به ، ولا مالٌ يَغُـرُّ

---

(١) إشارة الى ورق النقد الفلسطيني .



مُنْـذُ احتلالِ الغاصبين ونحن نبحث في السياسـهْ
شأنُ الضميرِ مع السِّياسة كالرَّقيق مع النَّخاسـهْ
مرَّتْ علينا ستَّ عَشْرةَ ، كُنَّ مَجْلَبَـةَ التَّعاسهْ
فإلى متى يا ابنَ البلاد وأنت تُـؤْخـذُ بالحماسـهْ
وإلى متى (زعمـاءُ) قومِـكَ يخلبونـك بالكياسـهْ
ولكم أحَـطْنا خائنـاً منهم بهالاتِ القَداسـهْ ..
ولكم أضاعَ حقوقَـنا الرّجلُ الموكَّـل بالحراسـهْ !.
واللهِ ليس هنـــاك إلاَّ كلُّ قنّاصِ الرئاسـهْ
تأتيـه مِنْ ينْبع البـلادِ وما إليه من الخساسـهْ
وإذا اتَّقاك (فبالجرائد) والنجاسـةُ للنجاسـهْ (١)

(١) كـثر في ذلك الحين تسليط الصحافة للنيل من كرامات الناس .

أطلقي ذاك العيارا

« في ذكرى وفاة الملك حسين »

« ... وتوكل الشريف على الله ، ونهض في صباح اليوم التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤ – ٢حزيران سنة ١٩١٦ – قبل الفجروبيده بندقية أطلقها طلقة واحدة كان لدويها صدى في جدة والطائف والمدينة ... »

ملوك العرب للريحاني : ج ١

١

أطلقي ذاكِ العيارا   قدْكِ ضيماً واصطبارا
يُطلبُ العزُّ ابتدارا   يدرك المجد اقْتِسارا
أطلقي ذاكِ العيارا

حطّمي القيدَ الثقيلا   واركبي الهولَ سبيلا
عاش يا نفسُ ذليلا   بك من كان بخيلا
أطلقي ذاكِ العيارا

دبِّـري الأمرَ نهارا   واطلبي الحقَّ جهارا
واهبطي الهيجاءَ دارا   ذلَّ من يُغفـل ثارا
أطلقي ذاكِ العيارا
يا لأعنـاقِ الرجـالِ   كيف مالت بالحبالِ
هاكِ أشـبالي ومـالي   وعتـادي للقتـالِ
أطلقي ذاكِ العيارا
أعْنَقَتْ تسري انتشارا   فـكرةٌ تحمـلُ نارا
تهبـطُ القلبَ قرارا   تُلهبُ الصّدرَ استعارا
أطلقي ذاكِ العيارا
عَلِـقَتْ ثَمَّ يـداهُ   بزناد   فطـواهُ
أضرم البيـدَ سـناهُ   ثم ردَّدن صـداهُ
أطلقي ذاكِ العيارا

٢

انظري يوم أغـارا   أيَّ أبطـالٍ أثـارا
أيَّ كاسـاتٍ أدارا   بين صرعى وسُـكارى
أطلقي ذاكِ العيارا

احشدي البيدَ أُسودا   واملأي الشامَ حقودا
ووعوداً   وعهودا   وبنوداً   وبنودا
أطلقي ذاكِ العيارا

المنايا   تتبارى   والأمانيَّ   الكبارا
طبّقي الأرضَ انتصارا   واعتزازاً   وافتخارا
أطلقي ذاكِ العيارا

اغدري غدرَ القويِّ   بالحسين بن عليٍّ (١)
لستِ بالخلِّ الوفيِّ   للحليفِ   العربيِّ
فاملأي التاريخ عارا

*

أُمّتي ، قدْكِ اصطبارا   فاطلبي العزَّ ابتدارا
وخذي المجد اقتسارا   هاجني الماضي ادّكارا
أطلقي ذاكِ العيارا

---

(١) الضمير يعود الى بريطانيا العظمى .

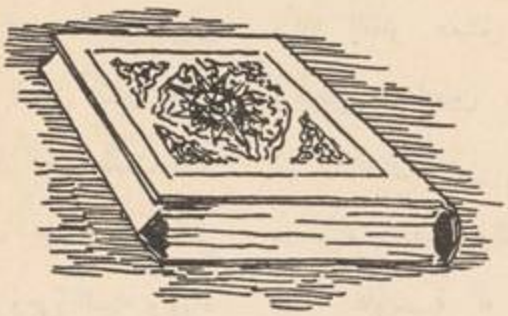
شرعة الاستقلال

يومٌ بداجية الزّمان ضياءُ — وبَهاؤه للخافقين بهاءُ
يُزجي النسيمَ به هجيرٌ لافحٌ — عجباً !! وتبسط ظلّه الصحراءُ
ويرفُّ من شظف المعيشة لينها — ويسيل من وهج السّراب الماءُ
وإذا الرشادُ من الضلالة والعمى — ومن الشقاق تآلف وإخاءُ
وإذا من الفوضى نظام معجز — وقيادة وسيادة ودهاءُ
وإذا الخيام قصور أملاك الورى — وإذا القفار دمشق والزوراءُ
وعلى ربوع الصين كبّر فيلقٌ — وبأرض قسطنطين رفّ لواءُ
تلك الخوارق إن طلبت أدلةً — ثبتَ البراقُ بهن والاسراءُ
نزل الكتاب على النبيّ محمدٍ — ما يصنع الخطباءُ والشعراءُ !!
لو لم يكن وحيَ السماءِ ونورَه — لمحته عارضةٌ له وذكاءُ
سَحَرَ القلوبَ فراح يقذفها على — نار الجهاد اولئك البسلاءُ
هيهات ما نكصوا على أعقابهم — حتى انجلت عنهم وهم شهداءُ

حرّيةٌ آيُ الكتاب وسؤددٌ   وعزيمة وكرامة وإباءُ

*

ناديت قومي لا أُخصّصُ مسلماً   ابناء يعرب في الخطوب سواءُ
ان الكتابَ شريعةُ استقلالكم   فتدبّروه وأنتم الخلفاءُ ...



الفدائي

عينت الحكومة المنتدبة يهودياً بريطاني الجنسية لوظيفة النائب العام في فلسطين. فأمعن في النكاية والكيد للعرب بالقوانين التعسفية الجائرة التي كان (يطبخها) . ولما ثقلت على العرب وطأته ، كمن له أحد الشبان المتحمسين في مدخل دار الحكومة في القدس وأطلق النار عليه فجرحه .

لا تَسلْ عن سلامتِهْ روحه فوق راحتِهْ
بدَّلَتْهُ همومُهُ كفناً من وسادتِهْ
يَرقبُ الساعةَ التي بعدَها هولُ ساعتِهْ
شاغلٌ فكرَ مَنْ يراهُ بإطراقِ هامتِهْ
بيْنَ جنبيْهِ خافقٌ يتلظَّى بغايتِهْ
من رأى فَحْمةَ الدُّجى أُضْرِمَتْ من شرارتِهْ
حَمَّلَتْهُ جهنَّمٌ طَرَفاً من رسالتِهْ

هــو بالبــابِ واقفُ والرَّدى منــهُ خائفُ
فاهـدأي يا عـواصفُ خجــلاً من جراءتِـهْ

*

صامتٌ لوْ تكلَّما لَفَظَ النَّارَ والدَّمــا
قُلْ لمن عاب صمتَــهُ خُلِقَ الحزمُ أبكما
وأخــو الحزم لم تزلْ يدُهُ تَسْبِقُ الفما
لا تلومــوه ، قـد رأى منْهجَ الحقِّ مُظلِما
وبــلاداً أحبَّهــا ركنُها قـد تهدَّما
وخصومــاً ببغْيِهِـمْ ضجَّت الأرضُ والسما
مرَّ حينٌ ، فـكاد يقتلُهُ اليــأْسُ ، إنما ..

هــو بالبــاب واقفُ والرَّدى منــه خائفُ
فاهـدأي يا عـواصفُ خجــلاً مِن جراءتِهْ



حطين

نظمها ابراهيم يوم عزم امير الشعراء المرحوم احمد شوقي بك على زيارة فلسطين وأخذ الأدباء يعدون العدة لاقامة مهرجان له . ولكن الزيارة لم تتم . وقد رمى ابراهيم من وراء هذه القصيدة الى إثارة امير الشعراء لينظم شعراً في فلسطين وفي قضيتها .

أهْلاً بربِّ المهرجانِ أهْلاً بنابغةِ البيانِ
ملكِ القلوبِ المستقِلِّ بعرشِها ، والصوْلجانِ
ومتوّجٍ حالتْ اشعّةُ تاجِهِ دونَ العِيانِ
أهْلاً (بشوقي) شاعرِ الفُصْحى ومعْجزةِ البيانِ
يا فَرقدَ الشعراءِ كمْ من فرقدٍ لعُلاكَ رانِ
عَلَما الخلود مُنَشّرانِ على سريركَ يَخْفُقانِ
جبريلُ ينفخُ في فؤادكَ ما يفيضُ على اللّسانِ
وأمدَّ بالنفحات روحَكَ حين طوّف بالجِنانِ
فإذا بأبكارِ الجنانِ لديْكَ أبْكارُ المعاني

يا باكيَ الفيحاءِ حين أبتْ تُقيمُ على الهوانِ
أيامَ كانتْ وردةً بدمِ البواسِلِ كالدّهانِ
أرْسَلْتَ عنْ (بَرَدى) سلامَكَ في لظى الحرب العوانِ (١)
وذرفتَ « دمعاً لا يُكفْكفُ » هيَّجتْهُ الغُوطتانِ
البيتُ ممّا قُلْتَـهُ فيهِ تخايلُ جنّتانِ
أبداً رثاؤكَ فيهما عينانِ دمعاً تجريانِ
هذا وإنَّ جناهما لَلْصَّعْبُ فاعجبْ وهو دانِ

عَرِّجْ على حطّينَ واُخشعْ يُشْجِ قلبَكَ ما شجاني
وانظرْ هُنالِكَ هل ترى آثار (يوسف) في المكانِ
أيْقظْ (صلاحَ الدّين) رَبَّ التّاج والسَّيفِ اليماني
ومثيرَها شَعْواءَ أيُوبيَّةَ الخيْلِ الهِجانِ
بالعاديات لديْه ضبحاً والأسنّةُ في اللّبانِ
ترْمي بمارجِها وما غَيْرَ العجاجة من دخانِ

---

(١) اشارة الى قصيدة شوقي التي مطلعها :
سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق

في كلّ خطّارٍ على الأخطار صبّارِ الجَنانِ
حَلَقاتُ أدرعِهِمْ قيودُ الموْتِ في دَرَكِ الطعانِ
وسيوفُهم ماءُ الحميمِ على مضاربهنّ آنِ
والخيلُ طوْعُ كماتِها في النّقْعِ مُرْخاة العِنانِ
لا تنثني أوْ تحرزَ القَصَباتِ في يومِ الرّهانِ
حِطّينُ يومُك ليس يُنكرُ شاهديه الخافقانِ
تتطايرُ الأرواحُ فيه من السِّنانِ إلى السِّنانِ
وترى السّهامَ مُقوّماتٍ فوْقَ أجسامٍ حوانِ
فإذا أديمُ الأرض أحمرُ من دمِ الافرنج قانِ
يُسقَوْن من كأس الرّدى ومليكُهم ظمآنُ عانِ
حتّى انجلى رَهَجُ الوغى والنّصرُ مَرْموقُ العَنانِ
ومشى صلاحُ الدّين تحت لوائِهِ في مِهْرجانِ
وعلا الأذانُ ورَجّعَتْ تكبيرَهُ شُرَفُ الأذانِ

أمقوّضَ الدُّولاتِ مَنْ لي مِنْ صُروفِك بالأمانِ

دُكَّت صُروحٌ ما بنى أمثالَها في المجدِ بانِ
جلَّ المصابُ « أبا عليٍّ » فابْكِ هاتيكَ المغاني
ذهبَ الذين عهدتَهم لا يصبرون على الهوانِ
في مصرَ يطمعُ أشْعَبٌ وهنا تبادى أشعبانِ (١)
وهنا التخاذلُ في الشَّدائدِ والتَّشاؤُمُ والتَّواني
والنَّفسُ يقتُلُ عزمَها طولُ التَّعلُّلِ بالأماني

خُذْها إليكَ وأنتَ عنها يا أميرَ الشِّعر غانِ
حسناءَ فيها للصِّبا نزقٌ على خَفَرِ الحسانِ
نَفَحاتُها مِنْ « كرْمةٍ » تُعزى الى الحسن بنِ هاني
هَيْهاتَ تبلغُ شأوَكَ الشعراءُ يوماً أوْ تداني

(١) اشارة الى الاستعمار والصهيونية في فلسطين .

سياسيات

غـايتي

إنَّ قلـــبي لبلادي　　لا لحزبٍ أو زعيمِ
لم أبِعْـهُ لشقيـــقٍ　　أو صديقٍ لي حميمِ
ليس مـــني لو أراه　　مرةً غـــيرَ سليمِ
ولساني كفـــؤادي　　نيـطَ منـه بالصَّميمِ
وغدي يُشبـه يومي　　وحديـثي كقـديمي
لم أهَـبْ غيظَ كريم　　لا ولا كيْدَ لئيمِ
غـايتي خدمـةُ قومي　　بشقـائي أو نعيمي

الى الأحرار

قرر الزعماء العرب في فلسطين الخروج بعد صلاة الجمعة من كل اسبوع بمظاهرة سلمية تعلن في المدن الفلسطينية ، الواحدة تلو الاخرى ، فألقت الشرطة البريطانية القبض على بعض الزعماء العرب واعتبرتهم مسؤولين عن هذه المظاهرات وساقتهم الى المحاكمة . ثم صدر عليهم الحكم بالسجن أو توقيع الكفالات . فوقعوا كلهم إلا المرحوم الشيخ عبدالقادر المظفر الذي فضل السجن على توقيع الكفالة.

أحرارَنا ! قد كشفتم عن (بطولتكم) غطاءَها يوم توقيع الكفالات ..
أنتم رجال خطابات منمّقة كما علمنا ، وأبطال (احتجاجاتٍ)
وقد شبعتم ظهوراً في (مظاهرةٍ) (مشروعةٍ !) وسكرتم بالهتافاتِ
ولو أُصيب بجرحٍ بعضُكم خطأً فيها ، إذاً لرتعتم بالحفاواتِ
بل حكمةُ اللهِ كانت في سلامتكم لأنكم غير أهل للشهاداتِ

أضحتْ فلسطينُ من غيظ تصيح بكم: خلُّوا الطريق فلستم من رجالاتي
ذاك السجين(١) الذي أغلى كرامته فداؤه كل طلاّب الزعاماتِ

(١) الاشارة الى المرحوم الشيخ عبد القادر المظفر .

الأيمان الوطني

أو جماعة (السار)

ليت لي من جماعة (السّار) قوماً يتفانون في خلاص البـــلادِ
أو كإيمانهم رسوخــاً وعمقاً ثابت الأصل في قرار الفؤادِ
مثل هذا الايمان يَضْمَنُ للأوطان عزّاً ، ومثـل هـذا التفادي
لا كإيمان من ترى في فلسطين . . . قصيرِ المدى ، كليلِ الزنادِ
يتـداعى إذا تسلّـط وعـدٌ أو وعيد عليـه عند العوادي
أو قطوبٌ ... تخيب منه المساعي ، وابتسامٌ ... تذوب فيه المبادي
لا تلمني إن لم أجد من وميضٍ لرجـاءٍ ما بـين هـذا السوادِ

الشيخ المظفر (*)

أنظر لِمَا فعل (المظفَّر) ، إنه   نَفَعَ القضيةَ غائباً لم يحضرِ !.
أحيى القلوب ، ودونهنّ ودونَه   غرفُ الحديد ، وحامياتُ العسكرِ
عرضوا الكفالةَ والكرامةَ عنده   عبثاً.. وهل عَرَضٌ يقاس بجوهرِ ؟
ورأى التحبُّرَ في التخيُّرِ سُبَّةً   ففدى كرامته (بستّة أشهرِ)
لم يخلُ ميدانُ الجهاد بسَجْنه   فلقد رمــاه بقلبه المتسعّرِ
ولكم خلا بوجود جيشٍ زاخرٍ   يمشي إليه بِخَطْوِهِ المتعثّرِ
إن (المظفَّر) من حديدٍ جسمُه   فيما أرى، وجسومُهم من سُكّرِ !

(*) الاشارة هنا الى المرحوم الشيخ عبد القادر المظفر .

أيها الأقوياء

قد شهدنا لعهدكم (بالعدالهْ) .. وختمنا لجندكم بالبسالهْ !.
وعرفنا بكم صديقاً وفيّاً كيف ننسى انتدابَه واحتلالَهْ ..
وخجلنا من (لطفكم) يوم قلتم : وعدُ بلفور نافذٌ لا مَحالَهْ
كلُّ (أفضالكم) على الرأس والعين ، وليست في حاجة لدلالَهْ !.
ولئن ساء حالُنا فكفانا أنكم عندنا بأحسن حالَهْ ..
غير أن الطريق طالت علينا وعليكم ... فما لنا والاطالَهْ ؟!
أجلاءٌ عن البلاد تريدون فنجلو ، أم مَحْقنا والازالَهْ ؟! (١)

(*) موجهة الى حكومة الانتداب البريطانية .
(١) ولقد تحقق الجلاء عن الديار ...

القُدس (*)

دارَ الزعامة والأحزاب كان لنا — قضيةٌ فيـك ، ضيّعنا أمانيها
هل تذكرين وقد جاءتكِ ناشئةً — غنيـةً دونها الأرواحُ تَفْديها
تَوَدُّ لو وَجَدَتْ يوماً أخا ثقةٍ — لديكِ يُوسِعُها بِرّاً ويحميها
ما كان كفؤاً عفيفَ النفس كافلُها — ولا أبيّـاً حميَّ الأنف راعيها
ولا أفادتْ سوى الأحقاد تُضرمها — فوق البلاد (زعاماتٌ) وتذكيها
ولم تبـالِ بما تلقي لها حطباً — ولا بأيّ كرام النـاس ترميها
قضيـةٌ نبذوها بعدما قُتِلَتْ — ما ضرَّ لو فتحوا قـبراً يواريها



(*) بمناسبة التطاحن الحزبي الذي تفشى في فلسطـين حينذاك . وكانت القدس ، بوصفها عاصمة البلاد ، مركز ذلك التطاحن .

السماسِرة ..!

أمّا سماسرةُ البلاد فعصبةٌ … عارٌ على أهل البلاد بقاؤها
إبليسُ أعلن صاغراً إفلاسَه … لما تحقّق عنده إغراؤها
يتنعّمون مُكرَّمين ، كأنّما … لنعيمهم عمَّ البلاد شقاؤها
همْ أهلُ نجدتها ، وإنْ أنكرتَهم … وهمو ، وأنفك راغم ، زعماؤها !!
وحماتُها ، وبهم يتمّ خرابُها … وعلى يديهم بَيْعُها وشراؤها
ومن العجائب إنْ كشفتَ قدورَهم … أنَّ الجرائد، بعضَهنَّ، غطاؤها (١)
كيف الخلاص إذا النفوس تزاحمت … أطماعُها ، وتدافعتْ أهواؤها

---

(١) الاشارة الى بعض الجرائد المأجورة التي كانت تدافع عن فئة من السماسرة وتستر خيانتهم .

١٠٠٠ (*)

أرى عدداً في الشؤم لا كثلاثةٍ   وعشر ، ولكن فاقَه في المصائبِ
هو (الألفُ) .. لم تعرف فلسطينُ ضربةً
أشــدَّ وأنكى منــه يوماً لضاربِ
يهاجر ألفٌ .. ثم ألفٌ مهرباً ..   ويدخل ألفٌ سائحاً، غير آيبِ ..
وألف (جوازٍ) ، ثم ألف وسيلةٍ   لتسهيل ما يلقونه من مصاعبِ
وفي البحر آلافٌ .. كأنَّ عبابَه   وأمواجَه مشحونةٌ في المراكبِ

٭

بني وطني ، هل يقظةٌ بعد رقدةٍ   وهل من شعاعٍ بين تلك الغياهبِ
فوالله ما أدري ، ولليــأس هــبّةٌ
أُنادي (أميناً) أم أهيب (براغبِ) (١)

(*) موضوع هذه القصيدة هو هجرة اليهود الى فلسطين بموافقة الحكومة البريطانية المنتدبة وبالطرق غير المشروعة .

(١) الاشارة الى سماحة الحاج امين الحسيني والى المرحوم راغب باشا النشاشيبي ، وكانا زعيمي الحزبين المتزاحمين في فلسطين .

أنتم ..!*

أنتم (المخلصون) للوطنيّـهْ أنتمُ الحاملون عبءَ القضيّـهْ !!
أنتم العاملون من غير قولٍ !! بارك الله في الزنود القويّـهْ !!
(وبيانٌ) منكم يعادل جيشاً بمعدّات زحفـه الحربيّـهْ ..
(واجتماعٌ) منكم يَرُدُّ علينا غابرَ المجدِ من فتوح أُميّـهْ ..
وخلاصُ البـلادِ صار على الباب ؛ وجاءت أعيـادُه الورديّـهْ ..
ما جحدنا (أفضالكم) ، غيرأنّا لم تزل في نفوسنـا أُمنيَّهْ :
في يدينا بقيّـةٌ من بلادٍ .. فاستريحوا كيلا تطير البقيّـهْ

(*) موجهة الى الزعماء الفلسطينيين .

لِمَن الربيع ..؟

أرأيتَ مملكةَ الربيـــعِ يُعيدُ رونَقَها الربيعُ
ويُتَوَّجُ الراعي بها مَلِكاً رعيَّتُه القطيعُ
الذئبُ يَرْهَبُه ويلثمُ كفَّه الحَمَلُ الوديعُ
آذار في رَحْبِ الفضاءِ سفيرُ دولتـــه الرفيعُ
هاتيك ألوانٌ تشعُّ ، وتلكَ ألحانٌ تَشيعُ
لمن الربيعُ وطيبُه ؟ وهواه ، والزَّهَرُ البديعُ ؟.
فرحُ الربيـــعِ لمنْ له أرضٌ ، وليس لمن يبيعُ ..



٦

يا قوم ..!

هَزِلَتْ قضيَّتُكم فلا لحمٌ هناك ولا دمُ
حتى العظام فقد تعرَّقَها الذئابُ وأُتخِموا
بَلِيَتْ قضيتكم فصارت هيكلاً يتهدَّمُ
ضَمَرَتْ إلى (بلديَّةٍ) فيها العدا تتحكَّمُ (١)
أوضاعُها مجهولةٌ ومصيرها لا يُعلَمُ
يا قوم ليس عدوُّكم ممَّن يلين ويرحمُ
يا قوم ليس أمامكم إلاَّ الجلاء فحزِّموا .. (٢)

---

(١) كان الخصام بين الأحزاب العربية وقتئذ على أشده بسبب انتخابات البلديات في المدن الفلسطينية .

(٢) وقد وقع ذلك ويا للأسف ..

أيتها الحكومة *

علام احتراسُكِ ؟ لا أعلمُ ..   وفيم احتشادُكِ ؟ لا أفهمُ ..
وهل في فلسطين ما ترهبين   سوى أنه اجتمع الموسمُ :
جوادٌ براكبه عاثرٌ ..   وأين له الفارس المُعْلَمُ ؟.
وسيفٌ بحامله ساخرٌ ..   وأين له الكفءُ والمِعْصَمُ .؟
وهذا بتهديده يدّعي   وذاك بتنديده يَزْعُمُ ..
معازيلُ إلاّ من العنعنات   مشاغيلُ عن كل ما يُكْرِمُ

مظاهرُ ، ليس بِها ما يُخيف   ولكنما خاف مَنْ يَظْلِمُ ..

(*) يقيم المسلمون في القدس كل عام في عيد الفصح موسماً يسمى (موسم النبي موسى) تحضره الجماهير من المدن والقرى المجاورة . وكانت الحكومة المنتدبة تحتاط لهذا الموسم وتحشد له قوى الأمن خشية وقوع اصطدام بين الجموع العربية واليهود .

يا حسرتا ..

يا حسرتا ، ماذا دهى أهل الحمى　　فالعيشُ ذلٌ ، والمصير بَوارُ
أرأيتَ أيَّ كرامة كانت لهمْ　　واليوم كيف الى الاهانة صاروا
سَهُلَ الهوان على النفوس فلم يعد　　للجرح من ألمٍ ... وخفَّ العارُ
همدتْ عزائمُهم ، فلو شبَّت لظى　　لتثيرَها فيهم ، فليس تُثارُ
الظالمُ الباغي يسوس أمورَهم　　واللصُّ والجاسوسُ والسمسارُ

يا من تعلّل بالسياسة ... ظنَّها　　لَطُفَتْ، ولاَنَ عصيُّها الجبَّارُ
ما لطفُها ؟ ما اللين ذاك ؟ وكلهم　　مستعمرون وكلُّه استعمارُ

زيادة الطّين..! *

من كان ينكر نوحاً أو سفينَتَه ... فإن نوحاً بأمر الله قد عادا !!
حلَّ الوبالُ « بعيبالٍ » فمالَ به ... يا هيبةَ الله إبراقاً و إرعادا (١)
في جارفٍ كعجيج البحر طاغيةٍ ... أمواجُهُ تحمل الأسواقَ امدادا
ولا تزالُ من الزلزال باقيةٌ ... تذكارُها يوقد الأكبادَ إيقادا (٢)

منذ احتللتم وشؤْمُ العيش يرهقنا ... فقراً وجوْراً وإتْعاساً وإفساداً
بفضلكم قد طغى طوفانُ «هجرتهم» ... وكان وعداً تلقّيناه إيعاداً (٣)
واليوم، من شؤْمكم، نُبلى بكارثةٍ ... هذا هو الطّينُ والماءُ الذي زادا..

(*) بمناسبة الطوفان الذي طغى على مدينة نابلس وضواحيها سنة ١٩٣٥ .
(١) تقع مدينة نابلس بين جبلين: عيبال في الجهة الشمالية وجرزيم في الجهة الجنوبية.
(٢) هو الزلزال الذي وقع سنة ١٩٢٧ . وقد خسرت فيه نابلس الكثير من الأرواح والأموال .
(٣) اشارة الى الهجرة اليهودية الى فلسطين والى وعد بلفور .

نِعمة ..!*

يقولون في بيروت : أنتم بنعمةٍ تبيعونهم تُرْباً ، فيعطونكم تبرا

شقيقتَنا مهلاً ! متى كان نعمةً هلاكُ أُلوف الناس في واحدٍ أثرى

وباذلُ هـذا المال يعـلم أنَّـه يسلِّم باليمنى الى يده اليسرى

على أنها أوطاننا .. ما كنوزُهم ؟ وأموالُهم ؟ حتى تُساوَى بها قَدْرا

ولو كان قومي أهلَ بأسٍ ونخوةٍ إذنْ أصبحتْ للطامعين بها قبرا

ولـكنهم قد آثروا السهلَ مركباً تسيِّره الأهواءُ واجتنبوا الوعرا

ومـا حسرتي إلاّ على متعفِّف يقومُ (لوجه الله) بالنهضة الكبرى

(*) كان اليهود الصهاينة يشترون الأراضي في فلسطين بأسعار عاليـة . دون ان يفطن العرب في فلسطين وفي الأقطار المجاورة الى أنهم إنما كانوا يبيعون وطناً لا أرضاً . وكان في بيروت من يحسد أهل فلسطين على ذلك الثراء الزائف .

مَنَاهج..!

أمامَك أيُّها العربيُّ يومٌ — تشيبُ لهولهِ سودُ النواصي
وأنت ، كما عهدتك ، لا تبالي — بغير مظاهرِ العَبَثِ الرّخاصِ
مصيرك بات يَلْمُسُه الأداني — وسار حديثُهُ بين الأقاصي
فلا رَحْبُ القصور غداً بباقٍ — لساكنها ولا ضيقُ الخصاصِ (١)

لنا خصمان : ذو حوْلٍ وطوْلٍ — وآخر ذو احتيالٍ واقتناصِ (٢)
تواصوْا بينهم فأتى وبالاً — وإذلالاً لنا ذاك التواصي
مناهجُ للابادة واضحاتٌ — وبالحسنى تنفَّذُ والرصاصِ

(١) لا حاجة الى القول أن ذلك كله قد تحقق ويا للعار !.
(٢) الدولة البريطانية المنتدبة والصهيونية هما الخصمان .

غزلیات

عند شبّاكي

بُكوري عند شباكي لِأَنْشق طيبَ ريّاكِ
ولا سلوى سوى نجوى أسرُّ بها لمغناكِ
أُسرِّحُ نحوه طرفاً أُمنّيه بمرآكِ
وطرفاً في قرار (الدّار) موعوداً بلقياكِ
تمرُّ عليَّ ساعاتٌ أُشيِّعها بذكراكِ
وأخشى أن يرفَّ الجفنُ يحرمني محيّاكِ

*

طلعتِ ، فما لقلبي شاءَ يفضحُني فَسمّاكِ !
صباحَ النورِ ! من دنفٍ تنهَّد ، ثمَّ حيّاكِ ..
سلامَ الرُّوحِ والريحانِ ، أنتِ نعيمُ دنياكِ
مررتِ ، وقيلَ مرَّ الناسُ ؛ هل أبصرتُ إلّاكِ ؟!

*

وداعاً يا معذبتي وعينُ اللهِ ترعاكِ
وداعَ سُوَيْعةٍ تمضي على جمرٍ وألقاكِ
وأنسى ليلةً سَلَفَتْ وطرفي ساهرٌ باكِ
ومضجعَ أضلعٍ مُنِيَتْ بنيرانٍ وأشواكِ

*

شكرتُ اللهَ أنَّ (الدّار) تجمعني وإيّاكِ
وتُلْقينَ السُّؤالَ عليَّ في أمْرٍ تَعَدَّاكِ ..
وحين أُجيبُ تمنحني أبتسامَ الشكرِ عيناكِ

*

هجرتُ (الدّارَ) أضربُ في فضاءِ اللهِ لولاكِ
ولولا رحمة العينيْن قلباً بات يهواكِ
وعطفٌ من لدنكِ على أسىً في النفسِ فتّاكِ
إذنْ لَرأيْتِني يوماً صريعاً تحتَ شباكي

في المكتبة

وغريرةٍ في المكتبَهْ بجمالِها متنقِّبَهْ
أبصرتُها عند الصباحِ الغضِّ تشبه كوْكَبَهْ
جلستْ لتقرأ أو لتكتبَ ما المعلِّمُ رتَّبَهْ
فدنوْتُ أسْتَرِقُ الخطى حتَّى جلستُ بقرُبَهْ
وحبستُ ،حتى لا أرى ، أنفاسيَ المتلهِّبهْ
ونهيتُ قلبي عن خفوقٍ فاضحٍ ، فتجنَّبهْ

*

راقبتُها ، فشهدتُ أنَّ الله أجْزَلَ في الهِبَهْ
حملَ الثَّرى منها على نورِ اليديْن وَقلَّبَهْ
وسقاه في الفردوس مخْتومَ الرحيق وركَّبَهْ
فإذا بها مَلَكٌ تنزَّل للقلوبِ المتعَبَهْ
يا ليتَ حظَّ كتابها لضلوعيَ المتعذِّبَهْ

حَضَنَتْهُ تقرأ ما حوى وحَنَتْ عليه وما انتبهْ
فإذا انتهى وجهٌ ونال ذكاؤها ما استوعبهْ
سَمَحَتْ لأُنْمُلِها الجميلِ بِريقِها كيْ تَقْلِبَهْ

*

وسمعتُ وهْيَ تُغَمْغِمُ الكلماتِ نجْوى مُطْرِبَهْ
ورأيتُ في ألفمِ بِدْعَةً خلاّبةً مستَعْذبهْ..
احدى الثنايا النيِّراتِ بَدَتْ ، وليس لها شَبَهْ
مثلومةً من طرفِها لا تحْسَبَنْها مَثْلَبَهْ..
هيَ ، لو علمتَ ، من المحاسنِ عند أرفع مرتبهْ
هيَ مصْدَرُ (السِّيناتِ) تُكْسِبُها صدىً ما أعذبهْ

*

وَأمّا وَقلبٍ قد رأتْ في السّاجدين تَقَلُّبَهْ
صَلّى لجبّارِ الجمالِ ، ولا يزالُ مُعَذَّبَهْ
خَفقانُه متواصلٌ والليلُ ينشرُ غيْهبَهْ
متعذِّبٌ بنهارِهِ حتى يزورَ المكتبهْ..

وَأمّا وعينـكِ والقُوى السِّحريَّةِ المتحجِّـبهْ
ما رُمتُ أكـثر من حديثٍ ، طِيبُ ثغرِكِ طَيّبَهْ
وأرومُ سِنَّكِ ضاحكاً   حتّى يلوحَ وأرْقُبَهْ



مَعينُ الجمال

أسعديني بزورةٍ أو عِديني　　طال عهدي بلوعتي وحنيني
أدَّعي الهجرَ كاذباً وغرامي　　في قرارٍ من الفؤاد مَكينِ
غِيضَ دمعي وكان رِيّاً لروحي　　من غليل الأسى فمَنْ يرويني
يا مَعينَ الجمال أذبلتِ قلبي　　أنعشيني بنهلةٍ أنعشيني
يا مَعينَ الجمال ، قطرةَ ماءٍ　　أو أفيضي ابتسامةً تُحييني

ضجعتي في الرياضِ بين الرياحين قريباً من ماءِ عَيْنٍ مَعينِ
فتناولتُ أُقْحواناً نديّاً　　ونداهُ كاللؤلؤِ المكنونِ
ونَزَعتُ الأوراقَ عنها تِباعاً　　أتحرّى شكّي بها ويقيني
فإذا وافقتْ مُنايَ تفاءَلْتُ ، وإلاّ كذّبتُ فيها ظنوني
ذاك لهوٌ فيه العزاءُ لنفسي　　فاضحكي من تعلُّلي وجنوني

طُفْتُ بين الأزهار ، والتَّشرُ من نَشْركِ فيها ودِقَّةُ التكوينِ
قطرات الندى عليها دموعي أنتِ أدرى مِنّي بما يُبكيني
أنْتقي طاقةً وذوقُك يَهديني الى الرائعاتِ في التَّلوينِ
يا حياةَ القلوبِ ويْلي عليها ذَبُلَتْ من بقائها في يميني
فخذيها عسى تُرَدُّ اليها الروحُ ، إني أخاف مرأى المنونِ

ما أشَدَّ الهوى ، وما أطولَ الليلَ ، وما أبعدَ الكرى عن جفوني
رُبَّ ذكرى ـ وما هجعتُ ـ أستحالتْ
لخيالٍ سَرَى فَأذْكى شجوني
ضمَّني ، ثمَّ ردَّني وتلاشى في الدَّياجي كما تلاشى أنيني
راعني أمرُه فنبَّهتُ مَنْ حَوْليَ ذُعْراً بصرخةٍ في السُّكونِ
سألوني فلم أجِبْ ، بل تناوَمْتُ ، فناموا وللأسى خلَّفوني

مرحباً بالحياةِ عادَ صداها وأنجلى الليلُ عن صباحٍ مُبينِ
سُفَراءُ الصباحِ نورٌ وطيرٌ تتغنَّى في مائساتِ الغصونِ

ونسيمٌ يُداعبُ الدَّوْحَ ، والبحرُ شجيُّ الغناءِ عَذْبُ المُجونِ
وجلالُ الوِدْيان مِلْءُ الحنايا   وجمالُ الجبالِ مِلْءُ العيونِ
في اخضرارٍ كأنه أمَلي فيك ، وثلجٍ نقاؤهُ كالجبينِ

إنَّما هذه الطبيعةُ أُنسي   ومُعيني إنْ لم أجدْ من مُعينِ
أتقَرَّى جمالَ ذاتكِ في ما   أبْدَعَتْهُ يَمينُها من فنونِ
في الغدير الصَّافي ، وأُنشودة الطير ، وطيب الورود والياسَمينِ
غيرَ أني ما ازدَدْتُ إلاَّ حنيناً   أسعديني بزوْرةٍ أو عِديني

حملتني نحو الحمى أشجاني

نَبَّهتْني صوادحُ الأطيارِ
تَتغنَّى على ذُرى الأشجارِ
وتجلَّتْ مليكةُ الأنوارِ
فوق عرشِ الصَّباحِ ترشُفُ طلاًّ   من ثُغورِ الأقاحِ علاًّ ونهْلا
فتمنَّيْتُ لوْ شقيقةُ روحي   باكرَتْني إلى جَنَى الأزهارِ

*

أنا في روضةٍ أباحتْ جناها
كلَّ ذي صَبْوةٍ كئيبٍ أتاها
ها هُنا وردةٌ يفوحُ شذاها
ها هنا نرجسٌ يُحيّي الأقاحا   والدَّوالي تُعانقُ التُّفَّاحا
بادِري نَستَبِقْ معاً وارِفَ الظِّلِّ   ونَقْضي النَّهارَ بعدَ النَّهارِ

*

ضَحِكَ الرَّوْضُ حينَ فاضتْ عُيونُهْ
وترامى فوقَ الثَّرى ياسَمينُهْ
هامَ صَفْصَافُهُ فناحَتْ غُصونُهْ

فَسَواءٌ هُيامُهُ وهُيَامي غيرَ أنّي أبكي على أيَّامي
فَجَعَتْني بِكَ النَّوى حينَ شبَّتْ لَوْعَةٌ في الضُّلوعِ ذاتُ أُوارِ

*

مَرَّ عامٌ أُخْفي عن ٱلنَّاسِ ما بي
مِنْ حَنينٍ مُبَرِّحٍ وعذابِ
ولقدْ يَسْألونَ فيمَ أكتئابي

وَيْحهم كَيْفَ يُبصِرون دموعي ثمَّ لا يُدركونَ ما بضلوعي
ولقد يكتمُ المحبُّ هواهُ فتبوحُ الدُّموعُ بالأسْرارِ

*

ذاكرٌ أنتَ عهدَنا يا غديرُ
يومَ كنّا والعيشُ غَضٌّ نضيرُ
وعلى ضفّتيْكَ كنّا نسيرُ

فروَيْتَ الحديثَ عنّا شُجونا وأخذنا عليكَ ألاَّ تخونا
فأعِدْ لي ذاكَ الحديثَ فإني أذهلتني النوى عن التَّذكارِ

*

ذاكرٌ أنتَ والأزاهيرُ تندى
كمْ نظمْنا منهنَّ للجيدِ عِقدا
فإذا هبَّت الصَّبا فاح ندّا

وانقضى اللَّهوُ مُؤْذِناً بالفراقِ فذوى العِقدُ من طويلِ العناقِ
لمْ يزلْ خيطُهُ يلوحُ وجسمي يتوارى سُقماً عن الأبصارِ

*

يا ابْنةَ الأيْكِ غرّدي أوْ فنوحي
فعسى يلأَمُ الهديلُ جروحي
نفدَ الصَّبرُ عنْ شقيقةِ رُوحي

فاحملي هذه الرّسالةَ عنّي واُفجعي إنْ أتيتِها فوْق غُصنِ
فهْيَ عند الأصيل تصغي إلى الطيْر عساها تروح بالأخبارِ

*

حَمَلَتْني نحو الحمى أشجاني
فتهيَّبتُ من جلال المكانِ
وإذا فوق مقلتيَّ يدانِ
فتلمّستُ نضْرةً ونعيما وتعرّفْتُ ما لَثَمْتُ قديما
قلتُ يا مرحباً ، وقبَّلْتُ كفّاً أنزلتني ضيفاً بأكرمِ دارِ

*

خَطَراتُ النَّسيمِ في واديكِ
صَبَّحتْني بقبلةٍ مِنْ فيكِ
ثمَّ عادتْ بقبلةٍ تشفيكِ
فسلاماً يا واديَ الرُّمّانِ فُزْتُ بالرَّوح منكَ والرَّيْحانِ
واحنيني إلى ديارِكَ والرُّمّانُ دانٍ يُظِلُّ أهلَ الدّيارِ

حيرة

وقد رآها مستلقية نائمة

ما كنتُ أرغبُ ان أُسمَّى قاسياً   فأُنـفِّرَ الأحلامَ من عينيْهـا
والشوقُ يدفعني الى إيقاظهـا   ويدي تُحاذرُ أن تُمَدَّ اليْها
وكأنما شَعَرَ الرقـادُ بنعمةٍ   فأقام غيرَ مفـارقٍ جفنيْها
ويلٌ لقلبي كيف لم يَفُتِك به   مرأى تقلُّبِهـا على جنبيْها
وتنهَّدتْ مما تكنُّ ضلوعُهـا   يا شوقُ ويحكَ لا تَرُعْ نهديْها
حَسْبي جوىً أني نظرتُ لشعرها   ينكبُّ مرتشفاً ندى خدّيْها
وأغارُ منه اذا اطمأنَّ بها الكرى   ويُثيرُني متوسّداً زَنْدَيْها

ارنو بلهفة عاشقٍ لم يبقَ من   صبرٍ لديَّ ، وقد حنوتُ عليْها
فيصدُّني أدبي فأُبعدُ هيبـةً   وأودُّ لو أجثو على قَدَمَيْها
فالنَّفسُ بيْن تهيُّبٍ ممّا ترى   وتلهُّبٍ ، فاحْترتُ في أمريْها
ولعلَّ اشواقي بَلَغْنَ بيَ المدى   فوقعتُ لا أصحو على شفتيْها



في دَيْرِ قدّيس

لم ألْقَ بيْن لياليَّ التي سَلَفَتْ
كلَيْلةٍ بِتُّها في دَيْر قدّيسِ
ضَمَمْتُ حسناءَ لم يُخْلَقْ لها مَثَلٌ
بيْن الحسان ولا حورِ الفراديسِ
ما عرشُ بلقيس في إبّان دولتها
ولا سليمانُ مزفوفاً لبلقيسِ
يوْماً بأعظم منّا في السّرير وقد
دام العناقُ إلى قرع النّواقيسِ

خطرة في الهوى

أعيدي الى المضنى وإنْ بَعُدَ المدى
بُلَـهْنِيَةَ العيشِ الذي كان أرْغدا
تبارك هذا الوجهُ ما أوْضَحَ السَّنى
ومـــا أطيبَ المفْـتَرَّ والمتورّدا
فقدتكِ فِقْدانَ الصِّبا وهل امرؤٌ
تولّى صِبـــاه اليومَ يرجعه غدا
فقدتك لكنّني فقدتُ ثلاثـــةً
سواكِ : فؤادي ، والامانيَّ ، والهدى
وأبقيتِ لي غـيرَ القنوط ثلاثـةً :
هواكِ ، وسقمي ، والحنينَ المؤبّدا

أيا (وادي الرمان) ! لا طِبْتَ وادياً
اذا هي لم تنعم بظلّـكَ سرمدا

ويا (وادي الرمان) ! لا ساغ طعمهُ
اذا انا لم أمْدُدْ لذاك الجنى يدا
ويا (وادي الرمان) ! واهاً !! وعندهم
حرامٌ على المحزون أنْ يتنهَّدا
كأنيَ لم انزلْ ديارَكَ مرةً
ولم ألْقَ في اهليك حباً ولا ندى
ولم تَسْقني كأسَ المدام حبيبةٌ
وردتُ ثناياها مع الكأسِ موردا
ولم تُوحِ لي شعراً ولا قمتُ منشداً
ولم يَرْوِ شعري عندليبُكَ منشدا

اخي وحبيبي كنتُ أرجوكَ مسعداً
يسامحُك الرَّحمن لم تكُ مسعدا(١)

---

(١) عتاب الى اخيه (احمد) وكان ذلك يوم قدوم ابراهيم الى القاهرة للمعالجة والاستشفاء في شهر آب ١٩٢٩ .

ألم ترني في مصر أطلب شافيـــاً
وراعك إشفـأني على هـوّة الرّدى

ألم ترني في مضجعي متقلّـبـاً
أُقَلِّـبُ في الافلاك طرفاً مُسَهَّدا

ومن عجبٍ أنّا شبيهـان في الهوى
بِمَنْ انت تهوى، هل أطَـقْتَ تجلّدا؟!



فرحتي..!

فرحـــتي يوم أراها جنَّـــتي نارُ هواها

جنَّـــةُ الحسن لديْها طيبُـها وقْـفٌ عليْها
وردُهـا في وجنتيْها ثَـمِـلٌ من مقلتيْـها
هي ريحانـــة قلـــبي
ليتهـــا كانت بقربي
فرحـــتي يوم أراها جنَّـتي نـــارُ هواها
ونعيـــمي في شــقائي

كان لي في الحبِّ عهدُ رُبَّ ماضٍ لا يُردُّ
فالتقى خـــدٌّ وخـــدٌّ والتقى دمعٌ وشهدُ
جفَّ ، يا أيَّـام ، دمعي
ضـــاق بالآلام ذرعي

فرحـــتي يوم أراها   جنَّـتي نـارُ هواها
ونعيـــمي في شـقائي

بلبلٌ فوق الغصونِ   ساحرٌ جمُّ الفنونِ
يا أخا الصوت الحنونِ   لستَ تدري ما شجوني
تتسـلّى ، تتَفـلَّى
وتراني ، أتقـلَّى
فرحتي يوم اراهـا   جنتي نار هواهـا
ونعيمي في شقـائي

سمع البلبلُ شجوي   باكياً أيَّامَ لَهْوي
فهفـا البلبل نحـوي   هاتفاً : أصغِ لشدوي
قلتُ يا بلبل دعْـني
عُـدْ الى الدَّوحِ وغنِّ
فرحتي يوم اراهـا   جنّتي نار هواهـا
ونعيمي في شقـائي

نُحْ معي فالنوْحُ أوْلى   بَعْدَ مَنْ أهوى وأحلى
طَرِبَ القلبُ وملاً   أيُّها البلبلُ هَلاً
بجناحيكَ انقلبتا
وبمن أهوى رجعتا
فرحتي يوم اراها   جنّتي نار هواها
ونعيمي في شقائي

الهوى أبلى شبابي   جاءَني من كلِّ بابِ
مِن صدودٍ لعتابِ   من عذابٍ لعذابِ
كلُّ هذا لا يطاقُ
ثمَّ لا يحلو الفراقُ
فرحتي يوم اراها   جنّتي نار هواها
ونعيمي في شقائي

عيشُنا ركضٌ بركضِ   بعضُنا في إثْرِ بعضِ
والصِّبا يومٌ ويمضي   ليتَه يمضي ويُرْضي

يا فؤادي ما بكائي ؟
أترى يُجدي ندائي
فرحتي يوم اراها جنّتي نار هواها
ونعيمي في شقائي



هواكِ جبّار

هـواكِ جبَّـارْ على القلب جارْ
أمانْ !! أمان !!
مِـنْ زفرةِ الليلِ وغمِّ النَّـهـارْ
أمانْ !

يا أمـلي يا نورَ مستقبـلي أوقعـني صمتُـكِ في مُشكِـل
ما خبَّأ الدهرُ بعينيـكِ لي ؟
هل ابتسامٌ فيهما أم دموعْ ؟ تُذيبُ قلبي كمداً في الضلوعْ
يا ليتَ مكنونهما ينجـلي

سـعادُ لا يَهْـدأُ هـذا الفؤادْ ولنْ يذوقَ الجفنُ حلْـوَ الرقادْ
ما لمْ تصافيني الهوى يا سـعادْ

لو كان حظِّي منكِ أنْ تعلمي ما تصنعُ الأشواقُ بالمغرمِ
لرقَّ لي قلبُكِ والدَّمعُ جادْ

أبصرتُ في جُنْحِ الدُّجى طائِفا كلمْحةِ البرقِ سرى خاطفا
ثم دنا يصعقُني هاتفا :
« سعاد ، لم تخطرْ على بالِها ولم تكنْ موضعَ آمالِها ... »
ثم تولَّى يسبقُ العاصفا

أصبحتُ لا يَشْفي غليلي ابتسامْ ولا انحناءُ الرأسِ عند السلامْ
أولى بنا لو نتشاكى الغرامْ
يا حبَّذا لُقيا على موعدِ وحبَّذا أخْذُ يدٍ في يدِ
حتَّى يقول الناسُ هامتْ وهامْ !

ماذا أصاب الروْضَ حتى ذَوَى والهفا ؛ والغصْنَ حتى التوى
وأيُّ بُرْدٍ للربيعِ انطوى

الروضُ يملي يا سعادُ العِبَرْ في زَهَرٍ مثلِ الأماني اُنْتَثَرْ
يا روضةَ الحسنِ حذارَ الهوى :

هواكِ جبّارْ على القلب جارْ
أمانْ !! أمانْ !!
من زفرةِ اللّيل وغمِّ النّهارْ
أمانْ !



أعجبُ الهوى

تعلَّقها قلبي ولم أدرِ ما اسْمُها
وفي عينها ما بي وما سمعتْ باسمي

وما كان الاّ في الطريقِ لقاؤُنا
ولحظٌ ـ كباقي الناس ـ يرْمي ولا يُصمي

أما عجبٌ ـ والأرضُ مَلأى بمثلها ـ
هُيامي بها دونَ الحسانِ على رغمي ؟

وما بالُها لم تحمل الوجْدَ والهوى
لغيري ، لهُ روحي ولمْ يعدُهُ جسمي

أراها فلم أملِكْ تَمالُك واهنٍ
بجنبيَّ مسلوبِ الجراءَةِ والعزمِ

فيخطفُ لونِي فرطُ ما أنا واجدٌ
بها وبما يُلقي هواها على وهْمي

يُخَيَّلُ لي أنّي دَنوْتُ فأعرضتْ
فأصرِفُ وجْهي مُثْقَلَ الصَّدْرِ بالغمِّ
ظَنَنْتُ بها سوءاً ولم تجْنِ بعد ما
يُظَنُّ بهِ ، ما أشبهَ الظَّنّ بالأثمِ
ويُعرِبُ عن سِرِّ الضُّلوعِ شحوبُها
إذا ما تلاقيْنا ، فبئسَ إذنْ زَعْمي
وأُقسِمُ لو حدَّثتُها وتكشَّفتْ
سرائِرُنا ما شذَّ عنْ همِّها همِّي

هوىً ألَّفتْ شتَّى القلوبِ يمينُه
وكمْ قطَّعتْ يُسراهُ مِنْ صِلَةِ الرَّحْمِ
اذا كانَ في دنيا الهوى مِثْلَما أرى
فأيُّ عجيبٍ في هوى العُمْيِ والصُّمِّ

اشربي

اشربي انت وحسبي نشوةٌ من مقلتيْكِ
اشربي انت وحسبي نظرةٌ في وجنتيْكِ
اشربي انت وحسبي نهلةٌ من شفتيْكِ
اشربي انت ومالي وحياتي في يديْكِ

نقل الكأسُ حديثاً عن ثناياكِ العذابْ
أنـّـه لولا شذاهـا لم يكنْ لذّ وطابْ
لم يكن يُسكِرُ لولا أنه مسّ الرُضابْ
اشربي انتِ ، وحدّث انتَ عنها يا شرابْ

أنشديني ، أطربيـني بهوى الاندلسِ
أرسلي اللحنَ شجيّاً كالصَّبا في الغَلَسِ

هو يا روحي لروحي   كالنَّدى للنَّرجسِ
إنَّ أنفاسكِ فيه   لَحَياةُ الأنفسِ



عاشق كلانا بالمنى *

كانَ هزاراً طَرِباً   بالحسن مفتنّا
فابتسمَ الحبُّ لَهُ   فأحسن الظَّنّا
ثمَّ رماه بالتي   تبدِّلُ اللحنا
باتَ يهيمُ نائحاً   وطالما غنّى

حُكْمٌ به الحبُّ قضى   ما أظلَمَ القاضي
حَسْبُكَ أن ترضى به   فإنني راضِ
دعْكَ من الماضي فلو   عدتَ الى الماضي
وجدتَ وصلَ ساعةٍ   ودهرَ إعراضِ

(*) موجهة الى الاستاذ الشاعر عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) ، صديق المرحوم ابراهيم .

صحَّ الذي جرَّبْتُهُ عند (أبي سلمى)
الحبُّ يقتادُ الفتى وقلبُهُ أعمى
يسمو بـه حتى إذا بَوَّأَهُ النجما
رمى بـه من حالقٍ يَحْطِمُهُ حطْما

عاش كلانا بالمنى نُرسلُها شعرا
تلكَ رُفاةٌ بَلِيَتْ تبعثُها الذكرى
نصوغُها ابتسامةً أو دمعةً تُذْرى
نَشْقى به حتى تَحينَ الراحةُ الكبرى !

ذكرى عشيّة زهراء

هل (كَفْرَ كَنَّه) مُرْجِعٌ لي ذكرُها
ما فاتني من عنفوانِ شبابي ؟!.

أمْ في صَباياها وفي رمّانِها ... ما يبعثُ المدفونَ من آرابي..
لو تنفعُ الذكرى ذكرتُ عشيَّةً ... زهراءَ بيْن كواعبٍ أترابِ
فيهنَّ آسرةُ القلوب بحسنها ... ودلالِها وحديثِها الخلّابِ
روحٌ أخفُّ من النَّسيم وخاطرٌ ... كالبرقِ مقرونٌ بحسنِ جوابِ..
غرٌّ ثناياها وأشهد أنّها ... ممزوجةٌ رَشَفَاتُها بشرابِ
نُلقي أحاجيَ بيننا فتثيرُنا ... للضّحكِ خاطئةٌ وذاتُ صوابِ
ونردّد الألحانَ ، بينَ شجيَّةٍ ... تمري مدامعَنا ، وبيْن عِذابِ
ولقد نُعرّضُ باللّقاءِ لموعدٍ ... فيها، ونَسْلُكُها طريقَ عِتابِ

قمنا وقد سقط النّدى وتزاحفتْ ... سُجُفُ الغمام ثقيلةَ الأهدابِ

تُخفي محيَّا البـدر ثمَّ تُبينُـه
عبثَ المليحة دوننا بنقـــابِ . . .
وَجَـفَتْ مضاجِعَـها الجنوبُ وملؤُها
خفقانُ مضطَـرِم الهوى وثّــابِ
بتنـا على صَفْـوٍ وخـوفِ تفرّقٍ
للعـاشقين مُهَـيِّءِ الأسبــابِ

(نيسانُ) هان عليَّ حكمُك بالنَّوى
لما تحطّمت المنى في (آبِ . . .)
يا ليتَ من فَجَـعَتْ فؤاديَ بالمنى
لم تُبقِ لي ذكرى تُطيلُ عذابي

رمّان كفركنّا

جزتُ بالحـــيِّ في العشيِّ فهبّتْ
نفحـةٌ أنعشتْ فؤادي المُـعَنّى
قلتُ : مِنْها ، ودُرْتُ أنظرُ حوْلي
نظراتِ الملهوفِ يُسرى ويُمـنى
وإذا طيّـبٌ جَـنيٌّ من الرُّمّـ
ـانِ مثل النُّهودِ لو هي تُجنى
وافقتْ نظرتي نـداءَ غـلامٍ :
(ناصري يا رمان !) من (كَـفْرَكنّـا)
قلتُ أسرعْ بـه فدىً لكَ مالي
وترنّمْ بذكره وتغـنَّ ..
يا رسولَ الحبيبِ من حيثُ لم تد
ـرِ لقـد جئـتني بمـا أتمـنّى

غادة اشبيلية

الى فنانة اسبانية تعرف اليها في بيروت .

افدي بروحي غيدَ اشبيلهْ وإنْ أذقْنَ القلبَ صابَ العذابْ

*

عَلِقْتُ منهنَّ بِتِرْبِ النَّهارْ
وجْهاً ، وصِنْوِ اللَّيْلِ فرعاً وعَيْنْ
في مثلِها يخلعُ مثلي العِذارْ
ولا يبالي كيف أمسى ، وأيْنْ
أشربُ مِن فيها وكأس العُقارْ
معاً ، فكيف الصَّحْوُ من سكرتينْ
لَهْفي عليها يومَ شَطَّ المزارْ
وساقَها البيْنُ الى (النَّيْرَبينْ)

ودَّعتُها ، ومهجتي مُشْفِيَهْ   لم يَشْفني رشفُ الثَّنايا العِذابْ
وَوَدَّعَتْ بالنظرةِ المغْرِيَهْ   تصحبُ لُبّي معها في الرِّكابْ

*

يا أعْصُرَ الأنْدَلسِ الخالياتْ
قد فازَ مَنْ عاش بتلكِ الربوعْ
أهكذا كانت هناك الحياةْ
مُتْرَفَةَ الأيّام ، ملءَ الضلوع
أهكذا الفتنةُ في الغانياتْ
ونشوةُ الوصْلِ ، وَحرُّ الولوعْ . .
لَئِنْ مضى عهدُ ذوينا وفاتْ
ولم يَعُدْ من أملٍ في الرجوعْ

فذمّتي بعهدِهِمْ موفِيَهْ   أرُدُّ ماضيهِمْ ببذْلِ الشّباب
انا (ابْنُ زَيْدونَ) وتصبو لِيَهْ   (ولاّدةٌ) في دمِها والاهابْ . .



أوَّلُ عهدي بفنونِ الهوى .. بيروتُ ؛ أنْعِمْ بالهوى الأولِ ..
وقيل هل يَرْشُدُ قلبٌ غوى والرشدُ غَيٌّ في الصِّبا المقبلِ
مَدَدْتُ ـ لما قلتُ قلبي ارتوى ـ يدي ، فردَّتْهُ عن المنهلِ
بيروتُ ، لو شئتُ دفعتُ النوى طوْعاً ، ولم اهجركِ ، فالويل لي

في ذِمَّةِ اللهِ مُنىً مودِيَهْ باسقةٌ خضراءُ ، لُدْنٌ رطابْ
لعلَّ في أختك يا سوريَهْ حسنَ عزاءٍ عن جليلِ المصابْ

*

يَلَذُّ لي يا عينُ أن تسهدي وتَشتري الصَّفْوَ بطيب الكرى
لي رَقْدةٌ طويلةٌ في غدِ للهِ ما أعمقَها في الثرى
ألم تَرَيْ طيرَ الصِّبا في يدي أخشى مع الغفلةِ أنْ ينفِرا
طال جناحاه وقد يهتدي إلى أعالي دوحِهِ مُبْكِرا

أرى الثَّلاثين ستعدو بيَهْ مُغِيرةٌ أفراسُها في اقترابْ
وبعد عشرٍ يلْتوي عوديَهْ وينضَبُ الزَّيتُ ويخبو الشهاب (١)

---

(١) ولكن توفاه الله قبل ان يتم الأربعين فقد قضى نحبه وهو في السادسة والثلاثين من عمره .

لا بدَّ لي إنْ عِشْتُ أن أعطِفا   على رُبى الأندلسِ النَّاضرهْ
وأجتلي أشباحَ عهدِ الصَّفا   راقصةً ، فتَّانةً ، ساحرهْ
هناك لا أملِكُ أنْ أذرِفا   دمعي على أيَّامِنا الغابرهْ
عساك يا دمعَ محبٍّ وَفَى   تَرُدُّ جنَّاتِ المنى زاهرهْ

يومئذٍ ألقي على عوديَهْ   لَحنَ الهوى أمْزُجُهُ بالعتابْ
أفدي بروحي غيدَ أشبيليهْ   وإن أذقْنَ القلبَ صابَ العذابْ



صورتها المكبرة

برّحَ بي الشوقُ فلما طغى　　فزِعْتُ للرسْمِ فكبّرتُهُ
وما شفى داءً ، ولكنّما　　قلبي شكا البعدَ فَعَلَّلْتُهُ
ولم أجدْ في الرّسمِ أخلاقَها　　جرّبتُها حيناً وجربتُهُ
منتظري في غرفتي دهرَهُ　　جودُ بخيلٍ ما تعوَّدْتُهُ
ظلّ وقد ناجيتُهُ باسماً　　ولم يمانِعْ حين قبّلتُهُ
عَرَفْتُ للرّسام إبْداعَهُ　　وعدتُ للرّسمِ فأنكَرتُهُ
قد فاته دَلٌّ تعرّفْتُهُ　　فيها ، ومَطْلٌ كم تذوّقتُهُ
لَوْ جاءَني الرسامُ بالمشتهى　　كفرتُ باللهِ واشركتُهُ

طيرُ الصّبا

طيرُ الصّبا ولّى   وكان لي جارْ
قلتُ لـه « هـلّا   تعود للدّارْ ؟ »
فقال لي « كلاً ..   كلاً !» وطارْ ..
أظنُّـه مَـلّا   منّي الجوارْ

خلّفني أبكي   عهدَ الهوى
خُلعتُ من ملكي   عرشي هوى
عاش على الفتك   قلبٌ غوى
واليومَ في ضَنْكِ   واهي القوى

قال (أبو سلمى)   زينُ أترابي :
« صِباك قد همّا ..   خلِّ التصابي »..
فهاج لي غمّا   أقتلَ ممّا بي
قلتُ : « نعم حتما   وشاب أحبابي »..

الى ذات السّوار

هبيني لا اسميكِ ولا اظهر حُبّيكِ
وتُلقى بيننا الحجب فأحيا لا ألاقيكِ
هبي ما شئتِ ؛ ان القلب ما انفكّ يناجيكِ
ويرتاح الى النجوى وفي النجوى يحييكِ
ويطغى الليلُ والشوقُ فيدعوك ويبكيكِ
ويستأنس بالصبح لِمَا يرويه عن فيكِ



الى الممرضة الروسيّة ..

يا حلوة العينين يا قاسيهْ   سرعان ما أصبحت لي ناسيهْ
أما أنا فلست أنسى يداً   ناعمةً تجود بالعافيهْ
لئن شفى الطب ضنىً عارضاً   فمهجتي أنت لها شافيهْ
وإبرة الآسي على نفعها   أفعل منها نظرةٌ ساجيهْ
تبعثها عيناكِ في أضلعي   فياضةً بعطفها ، آسيهْ
تلأْم قلباً نَكَأَتْ جرحَه   فعاد يهوى مرة ثانيهْ
وتطفىءُ النار التي حرَّكَتْ   فأرجعتها زفرةٌ حاميهْ

قيصرة الحسن الا اشتكي   إليك من جورك يا طاغيهْ
هل كان نسيانك لي هفوة   ام خطّة أشْراكُها خافيهْ
سيدتي ، ذنبك مهما يكن   تغفره أعذارك الواهيهْ ...

ناشدتك الاسلام

الى فوز ...

يا (فَوْزُ) ويْلي منكِ يا قاسيهْ   عذَّبتِني ظُلماً، كفى ما بيهْ
أراكِ في اليوم ثلاثاً ولا   أنالُ إلاَّ النَّظرةَ الجافيهْ
واللهِ لو تدرين ما قصتي   ما كنتِ عن حالي إذنْ راضيهْ
بل كنت لي عوناً على غربتي   وكنتِ لي راحمةً آسيهْ
مرضْتِ أيّاماً ولمْ تطلُعي   ظللتُ فيها مهجتي داميهْ
أسأل عنكِ النّاسَ مستخبراً   ولهانَ أدعو لكِ بالعافيه
حتّى إذا أبْللتِ يا منيتي   خفّفَ عنّي اللهُ بلوائيهْ
بشراكَ يا قلبي فقد أصبحتْ   تغدو الى مَلْعبِها ثانيهْ
مليكةٌ ما بين أترابها   يا ليتني كنتُ مع الحاشيهْ
يا وردةً ترسلُ انوارَها   فيْضاً على الكونْ من الرابيهْ
يا ربّةَ المنديل مِنْ تحتِه   نَبْعَةُ حسنٍ ثرّةٌ صافيهْ
ناشدتُك الاسلامَ لا تقتلي   أخاكِ في دينكِ يا قاسيهْ

بعد عام

إليها . . !

هواكِ اصبح نَسْياً كلوعتـــي مَنْسيّا
قد كان شُغلاً لقلبي فصار قلبي خليّا
كأنّ حلوَ الأماني والوصلِ لم تكُ شيّا
مسحتُ آثارَ حُبٍّ كانت على شفتيّا
فيا جفونُ استقرّي عـاد الرّقـادُ شهيّا
وارقصْ على حبّ ليلاكَ يا فؤادُ مليّـــا



يوم الثلاثاء

حسبتُ أنَّ الشبابا ولّى حميداً وغابا
وما ظننتُ فؤادي إلاَّ اهتدى وأنابا
هيهاتَ لم يُرضِ قلبي من الهوى ما أصابا
يا نظرةً لم أُرِدْها ساقت إليَّ عذابا
لم أدرِ أن الزوايا يا قلب فيها خبايا ..
رددتَ ماضي عهودي عليَّ ، فاحمل هوايا

حسبتُ أنَّ دموعي جفَّت وأقوَت ْربوعي
وخلتُ نارَ فؤادي خبتْ وراءَ ضلوعي
فأين وجدي وسهدي وصبوتي وولوعي ؟!
وكان يوم الثلاثا شهدتُ فيه العجابا
اليوم يوم الصبايا روافلاً « بالملايا »
لئن أثرن شجوني ففي الزوايا خبايا ..

لاحتْ وجوهٌ ملاحُ   خلف الحجابِ صِباحُ
لـكنْ بخلْـنَ ولمّا   بخلْـنَ هبّتْ رياحُ
هذا نقـابٌ ، وهذا   شعر ، وهذا وشاحُ ..
فانصبَّ نورٌ وطيبٌ   على القـلوب انصبابا
كم للجمال مزايـا   وكم له من سـجايا
لولاكِ يا ريحُ كانت   بين الزوايا خبـايا ..

بلا عنوان ..!

لم تزل تهجرني منذ سنين   ليتني أنعم يوماً برضاكْ

كنتُ في روضٍ أنيق فإذا   بحبيبين من الطير هنـاكْ
إن هما طارا يكونان معـاً   ومعاً لفّهما دوح الأراكْ
ليتنا يا هاجري مثلهما   في تعاطينا الهوى ،لكن اراكْ
لم تزل تهجرني منذ سنينْ   ليتني أنعمُ يومـاً برضاكْ

ههنـا نرجسةٌ قبّلها   عاشق هام بها يُدعى نسيمْ
منحته طيبها يشفي بـه   كلَّ ذي قلبٍ من الهجر سقيمْ
ليتنا يا هـاجري مثلهما   في تساقينا الهوى ،لكن أراكْ
لم تزل تهجرني منذ سنينْ   ليتني أنعم يوماً برضاكْ

في ظلام اللَّيل لاحت نجمةٌ   وهفا نجم اليها مُسْطرِقا
يا حبيب الروح ها إنّهما   في عتاب وأُنقضى ، فاعتنقا
ليتنا يا هاجري مثلهما   في تشاكينا الهوى،لكن أراكْ
لم تزل تهجرني منذ سنين ْ   ليتني أنعم يوماً برضاكْ

شمل الكونَ الرضى حتى غدا   وهو طيب وجمال وصفا
يا ملولَ القلب ما في الكون مِنْ   عاشقين اثنين الاَّ ائتلفا
فمتى يا هاجري منك الرضى ؟   ومتى يصفو الهوى؟ لكن أراكْ
لم تزل تهجرني منذ سنينْ   ليتني أنعم يوماً برضاكْ

متفرقات

نعمة العافية (*)

اليكَ توجّهتُ يا خالقي   بشكرٍ على نعمة العافيهْ
إذا هي ولّتْ فمن قادرٌ   سواكَ على ردّها ثانيهْ
وما للطبيب يدٌ في الشفاءِ   ولكنها يدكَ الشافيهْ
تباركتَ ، انت معيدُ الحياةِ   متى شئتَ في الأعظم الباليهْ
وأنت المفرّج كربَ الضعيفِ   وانت المجيرُ من العاديهْ

(*) نظمها على أثر خروجه ، رحمه الله ، من المستشفى الألماني في القدس بعد ان أجريت له عملية جراحية كبرى في آذار سنة ١٩٣٣ .

ملائكة الرحمة

بيضُ الحمائم حسبهنَّهْ أني أردِّدُ سجعهنَّهْ
رمزُ السلامة والوداعة منذ بدءِ الخلق هُنَّهْ
في كلِّ روض فوق دانيةِ القطوف لهنَّ أنَّهْ
ويملْنَ والأغصانَ ما خطَرَ النسيمُ بروضهنَّهْ
فإذا صلاهنَّ الهجيرُ هبطْنَ نحو غديرهنَّهْ
يهبطن بعد الحوْم مثلَ الوحي ، لا تدري بهنَّهْ
فإذا وقعن على الغدير ترتَّبتْ أسرابُهنَّهْ
صفَّيْن طول الضفَّتين تعرَّجا بوقوفهنَّهْ
كلٌّ تقبِّلُ رسمَها في الماءِ ساعةَ شُرْبهنَّهْ
يطفئْنَ حرَّ جسومهنَّ بغمسهنَّ صدورَهنَّهْ
يقعُ الرَّشاشُ إذا انتفضْنَ لآلئاً لرؤوسهنَّهْ
ويطرْنَ بعد الابتراد إلى الغصونِ مهودهنَّهْ
تُنبيك أجنحةٌ تصفِّقُ كيف كان سرورهنَّهْ

ويُقرُّ عينَكَ عبثُهُنَّ ، إذا جثمن ، بريشهنَّهْ
وتخالهنَّ بلا رؤوس حين يُقبلُ ليلهنَّهْ
أخفينها تحت الجناح ونمن ملءَ جفونهنَّهْ
كم هجنني ورويتُ عنهنَّ الهديلَ ، فديتهنَّهْ !

المحسناتُ إلى المريض غدونَ اشباهاً لهنَّهْ
الرَّوض كالمستشفيات ، دواؤها إيناسهنَّهْ
ما الكهرباء وطبّها بأجلَّ من نظراتهنَّهْ
يشفي العليلَ عناؤهنَّ وعطفهنَّ ولطفهنَّهْ
مُرُّ الدواء بفيك حلوٌ من عذوبة نطقهنَّهْ
مهلاً ، فعندي فارق بين الحمام وبينهنَّهْ
فلربما انقطع الحمائم في الدُّجى عن شدوهنَّهْ
أمَّا جميلُ المحسنات ففي النهار وفي الدجنَّهْ

الدم الخفيف

وطبيب رأى صحيفـــة وجهي
شاحبـــاً لونها وعودي نحيفا

قال لا بد من دمٍ ، لك نعطيه
نقيـــاً ملء العروق عنيفـــا

لك ما شئت يا طبيب ولـــكن
اعطني من دم يكون خفيفا !

الحبشي الذبيح

... هذه الديكة الحبشية او الديكة الهندية – إذا شئت – التي يذبحونها على رنين الأجراس وأفراح المعيدين لتكون (عروس المائدة) تعمل فيها المدى تقطيعاً وتشذيباً لتمتلىء بها البطون مروية بكؤوس الخمر من بيضاء وحمراء...

كذلك هي الأمم المغلوبة على امرها كانت ، وما برحت « عروس الموائد » شأن « الحبشي الذبيح » اما ريشه فتحشى به الوسائد ، وأما لحمه فتحشى به البطون .

جريدة البرق ١٩٣١

بَرَقتْ له مسنونةٌ تتلهَّبُ أمضى من القَدرِ المتاحِ وأغلبُ
حزَّتْ فلا خدُّ الحديدِ مخضَّبٌ بدمٍ ولا نحرُ الذبيح مخضَّبُ
وجرى يصيحُ مصفّقاً حيناً فلا بصرٌ يزوغُ ولا خطىً تتنكّبُ
حتى غلَتْ بي ريبةٌ فسألتُهمْ خانَ السّلاحُ أم المنيّةُ تكذبُ
قالوا حلاوةُ روحه رقصتْ به فأجبتهم ما كلُّ رقصٍ يُطربُ
هيهاتَ ، دونكه قضى ، فإذا به صَعقٌ يشرّق تارة ويغرّبُ

واذا به يَزْوَرُّ مختلفَ الخطى وزكيّةٌ مَوْتورةٌ تتصبَّبُ
يعدو فيجذِبه العياءُ فيرتمي ويكاد يَظْفَرُ بالحياةِ فتهربُ
متدفقٌ بدمائه متقلّبٌ متعلّقٌ بذَمائِه متوثبُ
أعَذابُهُ يُدْعى حلاوةَ روحِه ؟ كمْ منطق فيه الحقيقةُ تُقلبُ
إنَّ الحلاوةَ في فمٍ متلمظٍ شَرِهاًليشرب ماالضحيَّةُ تسكبُ
هي فرحةُ العيدِ التي قامت على ألمِ الحياةِ ، وكلُّ عيدٍ طيّبُ

الشاعر المُعلّم

(شوقي) يقول ـ وما درى بمصيبتي ـ
« قم للمعلم وفّه التبجيلا »
اقعد ، فديتك ، هل يكون مبجلاً
من كان للنشء الصغار خليلا ..!
ويكاد (يفلقني) الأمير بقوله :
كاد المعلم ان يكون رسولا ..!
لو جرّب التعليم (شوقي) ساعة
لقضى الحياة شقاوة وخمولا
حسب المعلم غمّة وكآبة
مرآى (الدفاتر) بكرة وأصيلا
مئة على مئة إذا هي صلّحت
وجد العمى نحو العيون سبيلا

ولو أنَّ في « التصليح » نفعاً يرتجى
وأبيكَ ، لم أكُ بالعيون بخيــــلا
لكنْ أُصلّح غلطـــة نحوية
مثلاً ، واتخذ « الكتاب » دليلا
مستشهداً بالغرّ من آياتـــه
او « بالحديث » مفصلاً تفصيلا
وأغوص في الشعر القديم فأنتقي
ما ليس ملتبساً ولا مبـــذولا
وأكاد أبعث (سيبويه) من البلى
وذويه من اهل القرون الأولى
فأرى (حمـــاراً) بعد ذلك كلّه
رفَعَ المضاف اليه والمفعولا !!.
لا تعجبوا إنْ صحتُ يوماً صيحة
ووقعت ما بين « البنوك » قتيلا
يا من يريد الانتحار وجـــدته
إنَّ المعـلم لا يعيش طويلا !

مناجاة وردة

جنى عليكِ الحسنُ يا وردتي   وطيبُ ريَّاكِ فذقْتِ العذابْ
لولاهما لم تُقطفي غَضَّةً   بل لانطوى في الروض عنك الشبابْ
لولاهما مرَّ بكِ العاشقونْ
لا ينظرونْ

وربما أعرضَ عنكِ الندى   وجازكِ الطيرُ فما غرَّدا
عُرفتِ بالفضلِ وكم فاضلٍ   جنى عليه الفضلُ يا وردتي

روضتُكِ الغنّاءُ يا وردتي   قد أنبتتْ من كل زوْجٍ بهيجْ
تنفّسَ الصُّبحُ بأزهارها   عن ضاحكِ اللَّون زكيِّ الأريجْ
نَسرينُها، وردُها، والأقاحْ
كلٌّ مُباحْ

تَنْقُلُ عنها نَسماتُ الصَّبا   تحيةً لكلِّ قلبٍ صَبا
وطوَّفَ الناسُ بأرجائها   فوقَّفوا عندكِ يا وردتي



لِلّهِ ما أصدَقَها حِكْمَةً فاهَ بها (المجهولُ في عهدِهِ) (١)
« تشتاقُ أيارَ نفوسُ الورى وإنَّما الشوقُ الى وردِهِ »

تعزيةٌ أودعَ فيها الضَّريرْ
حُكْمَ البصيرْ

ألم يكنْ في قومِه كوكبا لاحَ ليمحو نورُه الغيهبا
فما لهم آلمَهُمْ فضلُهُ حتى لقد آذَوْه يا وردتي

تحكُّمُ النَّاس بمستضعَفٍ سرٌّ من الأسرار لا يُدركُ
يا وردتي وربَّ سَهْلٍ بدا طريقُه يُهلِكُ مَنْ يسلُكُ

هلْ حسبوا غصنَكِ لمّا دنا
سهلَ الجنى ؟

كلاَّ ؛ بل النَّفسُ التي تَضْعُفُ تصطنعُ البأْسَ فلا تعرفُ
والسرُّ في بطشِ الورى خوفُهمْ مِنْ هذهِ الأشواكِ يا وردتي

(١) الاشارة الى ابي العلاء المعري .

آل عبد الهادي

(بمناسبة افتتاح ناديهم في نابلس)

عهدَ الجدود سقاكَ صوبُ عهادِ ... ورجعت للأحفـاد بالاسعادِ
ماضٍ تحصّنت البلاد بظلّه ... من كيد منتـدب وصولة عادِ
المشرفية في الوغى خطباؤه ... تعلو منابر من متون جيـادِ
وشبا الأسنة فيه ألْسِنَةٌ إذا ... نطقت فمنطق سؤْددٍ وسدادِ
وطنية ان لم يكن عُرِف اسمُها ... لم يَخْفَ جوهرها على الأجدادِ
وتحرّجوا ان لا يمس حروفها ... قلمُ الجبان يخطُّها بمـدادِ
حمراء اوردها الدماءَ حفاظهم ... كدراء لم تنفض غبار جهادِ
سائل بها (عزّون) كيف تخضبت ... بدم الفرنجة عند جوف الوادي (١)
دعت الرجال ولم تكد حتى مشت ... هِمم الى الهيجـاء كالأطوادِ

(١) واقعة عزون : خرجت فرقة بقيادة الجنرال «لان» من مرج ابن عامر ، حيث كان نابليون ضارباً بجنوده ، وجعلت وجهتها عزون . وهي قرية لا تبعد كثيراً عن الساحل الفلسطيني شمالي يافا . وفي الوادي خرج عليهم شباب من اهل عزون بزعامة محمد الشيطة فهزموهم واعملوا القتل فيهم .

ثم التقوا تحت السيوف وبينهم   كأس الحتوف تقول هل من صادِ
كسروا من النسر الكبير جناحه   ذي التاج والأعلام والأجنادِ
تركوه يجمع في الشعاب فلوله   ويصب لعنته على القوادِ
رجع الأباة الظافرون وليس من   متبجحٍ فيهم يصيح : بلادي

هل اهلكت (فرّوخ) الاَّ نخوة   منّا لعسف فيه واستبداد (١)
لمَ يا دعاة السوء يطمس فضل من   اضحى غداة الظلم اول فادي

---

(١) حادثة صالح وفروخ : حكم نابلس من قبل الاتراك العثمانيين حاكم اسمه فروخ باشا . فطغى حتى ضاق الناس بظلمه . لذلك قام صالح طوقان بمهمة تخليص نابلس من ذاك الطاغية ، فصعد الى حيث كان يجلس فروخ في غرفة في السراي القديمة تطل على الساحة العامة . ولما صار امامه اطلق صالح عليه عياراً نارياً مزق رأسه ثم أخذ برجله والقى به من حالق الى الأهلين الثائرين المجتمعين في الساحة . وصالح طوقان هذا هو الذي ورد ذكره في تاريخ المرادي [سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر] بمناسبة ثورة بعلبك .

ثارت (بصالح) نخوة قذفت به ... في وجه اقبح ظـالم متمادِ
ومضت به صُعداً الى كرسيه ... والموت في يده وراء زنادِ
ألقى به و بظلمهِ من حالقٍ ... متضرجيْن بحمرة الفرصـادِ

هل عهد (ابراهيم) غير صحيفة ... قد اشرقت بالعِلْيَة الأمجادِ
اهل الفعال الغر من انجاده ... وذوي الحفاظ المر من اندادِ
كرمت نحيزتهم فهم نبلاء في ... اهوائهم نبلاء في الاحقـادِ
قالوا اتمدح ؟ قلت اهل فضائل ... وفواضل من آل عبد الهادي
اصفيتكم ودّي واعلم انـه ... ثقل على اللؤماء من حسّادي
لم يبتهج قلبي كبهجته بكمْ ... لما تجمّع شمل هذا (النادي)
شمخت بطارف مجدكم اركانه ... وتوطدت منكم بخير تلادِ

رثاء

رثاء نافع العبوشي

لهفي على (نافعٍ) لو كان ينفعهُ
لهفي . . وهيهات ما في الموت نفّاعُ

قد شيّعوه الى قبر يحفّ به
من المهابة اتباعٌ واشياعُ

حوتْه أوطانُه في جوفها فغدا
كأنما هو قلب وهي أضلاعُ

يا موطناً في ثراه غاب سادته
لو كان يخجل من باعوك ما باعوا

كارثة نابلس

أدمـوعُ النساءِ والأطفـالِ تجرح القلب أم دموع الرجالِ
بـلدٌ كان آمنـاً مطمئناً فرمـاه القضـــاء بالزلزالِ
هزّةٌ ، إثر هزّةٍ تركته طللاً دارسـاً من الأطـلالِ
مادت الأرضُ ثم ثَبّتَتْ وألقت مـا على ظهرها من الأثقـالِ
فتهـاوتْ ذات اليمين ديـارٌ لفظت أهلها ، وذات الشمالِ
بعجـاجٍ تُثيره تَرَكَ الدنيـا ظلاماً ، وشمسها في الزوالِ
فإذا الدور وهي إمّا قبـورٌ تحتها أهلُها ، وإمّا خـوالِ
وأرقُّ النسـيم لو مرَّ بالقـائم منهـا لدكّه ، فهو بـالِ

لا تقف سـائلاً بنابلس الثكلى فما عندها مجيبُ سـؤالِ
أرأيت الطيـور تنفـر ذعراً من خفافٍ عن سرحها وثقالِ
هكذا نُفّرتْ عن الدور أهلٌ عمروها ، الى كهوف الجبالِ

أرسومٌ وكنٌّ قبل صروحاً كلُّ صرحٍ عاتٍ على الدهر عالِ
فالتحفنا السماء بعد ستورٍ وشفوفٍ مُذالةٍ وحجالِ
وليالي الأعراس يا لهف قلبي عطّلتها تقلُّباتُ الليالي (١)
اضحك الدهر يا ابن ودي وأبكى يوم لم يخطر الأسى في بالِ

ربَّ وادٍ كأنّه النَّهَرُ الأخضرُ يختال في برودِ الجمالِ
خطرات النسيم ذاتُ اعتلالٍ فيه والدّوح مائس باختيالِ
غَشِيَتْهُ الطيور مختلفات رائعات الألوان والأشكالِ
صادحات على أرائك في الأيك يَصِلْنَ الغدوَّ بالآصالِ
نغمات أرسلْنَها ذات تسجيعٍ وكرٍّ في اللحن واسترسالِ
يا طيور الوادي غليل فؤادي كان يشفيه بردُ تلكِ الظلالِ
يا طيور الوادي رزايا بلادي مَزَجَتْ لي الغناء بالاعوالِ
كان واديك للسرور مآلاً فغدا بالثبور شرَّ مآلِ
كان (عيبال) من صدى الأُنس يهتزّ فماذا سمعت في عيبالِ (٢)

---

(١) كانت تقام في اللحظة التي وقع فيها الزلزال حفلة زفاف كبرى للصديق السيد حكمة المصري واخوانه وأبناء عمه .

(٢) « عيبال » جبل يكتنف نابلس من الجهة الشمالية .

كان (جرزيم) منزهاً والغواني   في ظلال منه وماءٍ زلالِ (١)
أدموع عيونـــه ؟ أصَبـاه   زفرات الارمـال والاثـكالِ

يا يد الموت ما عهدتُ ألوفاً   منك هوجاً تمتـد للأغتيالِ
طغت الحرب خمسةً ما دهتنـا   كثوانٍ مَرَّتْ بغـير قتالِ
ووجوه المنون شـتّى ، فبانت   كلُّها عند هـذه الأهوالِ
من وحيـد لأمِّـه وأبيـه   جمعـوه مفرَّقَ الأوصالِ
ومكبٍّ على بنيـه بوجهٍ   خلـط الدمع بالثرى المنهالِ
وفتاةٍ لاذتْ بحقويْ أبيهـا   جزعـاً ، وهو ضارع بابتهالِ
وحريضٍ رأى أبنه يسلم الروح ، قريباً منه بعيدَ المنالِ (٢)
ومريضٍ وعُـوَّدٍ ، صرخ الموت ، وكانوا يدعون بالابلالِ
خُسِفَ البيتُ بالمريض ، ومَنْ عاد ، وبالمُحْـصَنات والأطفالِ
قد رأينا في لحظـةٍ وسمعنا   كيف تلهو المنون بالآجال
ههنا نسوة جيـاع بلا مأوى ، ستـرن الجسوم بالأسمال

---

(١) « جرزيم » : جبل يكتنف نابلس من الجهة الجنوبية .
(٢) الحريض : الساقط الذي لا يستطيع النهوض .

هـهنا اسرة تهاجر والغمُّ بديل الأثاث فوق الرحالِ
هـهنا مبتلىً بفقد ذويـه هـهنا معدم كثير العيالِ
ملأ الحزنُ كلَّ قلبٍ وأودتْ ريح يأسٍ بنضرة الآمالِ

دخلاءَ البلاد ، انَّ فلسطين لأرضٌ كنوزها من نكالِ
تبِرُها صفرةُ الرَّدى فخذوه عن بنيها ، وآذنوا بارتحالِ
ربِّ لطفاً ! فقد أتانا نذيرٌ بوباءٍ من بعد هذا الوبالِ
وجرادٌ ، وكل آتٍ قريبٌ ، أوَ بعد الامحال من امحالِ
ربِّ ان الكروب تترى علينا حسبنا كرب هجرة واحتلالِ

صاحب غمدان

رثاء العلامة المرحوم جبر ضومط
(استاذ الآداب العربية في جامعة بيروت الاميركية)

(أغمدان) ما يُبكيكَ يا كعبةَ الهدى
وفيم الأسى يا هيكل الفضلِ والنّدى (١)
عذرتُكَ لو أصبحتَ وحدكَ مبتلىً
أغمدان صبراً لست بالخطب أوحدا
لئن مات يا غمدان (جبرٌ) فشدّما
أعدّ رجالاً للحياة وجنّدا
أتبكي على (جبر) وحولك جنده ؟
عزاؤك فيمن راح حولك واغتدى
لبانيك روحٌ ما يزال يمدّهُمْ
وظلُّك ممدود على الدّهرِ سرْمدا

(١) غمدان اسم قصر الفقيد في جبل لبنان .

ويا مَنْ رأى أركانَكَ الشُمَّ في الربى
تبوأنَ من جناتِ لبنان مقعدا

حنوتَ على امِّ اللغات فصُنْتَها
وكنت لها الصَّرحَ المنيعَ الممرَّدا

وكان لها (جبرٌ) أميناً وحامياً
اذا ما بغى الباغي عليها او اعتدى

وللعلم في لبنان شيدت معاهدٌ
فلم تبق ايدي الجهلِ منهن معهدا (١)

وأقبحُ مما قد جَنَوْهُ اعتذارهم
فقالوا : يضيعُ المالُ في رفعِها سُدى ..

وقد زعموها تُنْفِدُ المالَ كثرةً
فهل تركوا مالاً هناك فينفدا !

مصابيحُ انْ هم أطفأوها فإنَّها
حباحبُ شؤمٍ كم أضلَّتْ من اهتدى

---

(١) الاشارة الى اغلاق المدارس في لبنان ايام الانتداب الفرنسي .

وما لهفي الاَّ على ساعةٍ بهـــا
صدقنا العدا ، لا باركَ اللهُ في العدا

فكمْ مِنْ يدٍ بيضاءَ للعرب عندهم
« ومن لك بالحرِّ الذي يحفظ اليدا »

لئن خلّفوا لبنان يخبط في الدجى
فغمدان يا لبنان ما انفكَّ فرقـــدا

طريقُ الرَّدى مهما يَطُـلْ يلقه الرَّدى
قصيراً ؛ وإن يَوْعُـرْ يَجِدْهُ ممهَّدا

وموت الفتى تحني الثمانون ظهرَهُ
كموت الفتى في ميعةِ العمر أمردا

حياتك يا إنسان شتّى ضروبهـــا
تحيط بها شتى ضروب من الرّدى

وما قَهَـرَ الموتَ القويَّ سوى امرىءٍ
يخلّف بـين النـاس ذكراً مُخلّدا

يخلّف طيبَ الذكر، لا كالذي قضى
وخلّف وعداً في فلسطين أنكدا (١)

فأبكى به قوماً ، واضحك أمةً
أبى اللهُ الاَّ أنْ تهيمَ تشرُّدا

ولكنَّ خيرَ الناسِ من كفَّ شرَّه
عن النَّاس أو أغنى الحياةَ وأسْعَدا

(كجبرٍ) و (عبد الله) طاب ثراهما
ولا زال فوّاح الشَّذى ريِّق الندى (٢)

على خير ما نرجوه كان كلاهما
جهاداً وإسعاداً وغيْباً ومشهدا

وهاما هياماً في هوى « مضرية »
كما انقطعا دهراً لهـا وتجرَّدا

فكم نشرا من ذلك الحسن ما انطوى
وكم آيةٍ في ذلك السحر جدَّدا

---

(١) الاشارة الى اللورد بلفور ، صاحب الوعد المشؤوم للصهاينة بإعطائهم فلسطين وطناً قومياً لهم .

(٢) عبدالله البستاني صاحب قاموس (البستان) وقد توفي بعد الاستاذ ضومط بأيام يسيرة .

بلاغتها افتنَّتْ « بجبرٍ » وآثرت
فصاحتُها « البستانَ » ظلاً وموردا
اذا لغـةٌ عزَّت ـ ولو ضيم أهلها ـ
فقد أوشك استقلالهم أن يُوَطَّدا

(لجبرٍ) يدٌ عندي تألَّقُ كالضحى
وقـــلْ لها شكراً رثائيكَ منشدا
غشيتـك في دارٍ ببـيروت للنـدى
وللأدب العـالي فِنـاء ومنتـدى
وحفَّ ذويكَ البشرُ من كل جانبٍ
وبـين أساريرِ الوجـــوه تردَّدا
وآنستَ بي من فيْض نورك لمحةً
فأعليتَ من شأني معيناً ومرشـدا
لقد كنتَ بي برّاً ، فيا برَّ والدٍ
توسَّمَ خـيراً في ابنـــه فتعهَّدا

ويا حسرتا أضحي بنعماكَ نائحاً
وكنتُ بها من قبل حينٍ مغرِّدا
عجبتُ لها من همةٍ كان منتهى
حياتكَ فيها حافلاً مثلَ مبتدا
فيا لغتي تيهي (بجبرٍ) على اللُّغى
ويا وطني ردِّد بآثاره الصدى

وردُ الفيضِ وهجرة تتدفق

رثاء المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني

وجه القضية من جهادك مشرقُ ... وعلى جهادك من وقارك رونقُ
لله قلبك في الكهولة إنه ... ترك الشبيبة في حياء تطرقُ
قلب وراء الشيب متقد الصِّبا ... كالجمر تحت رماده يتحرّقُ
اقدمتَ حتى ظلَّ يعجب واجماً ... جيش من الأيام حولك محدقُ
تلك الثمانون التي وفّيتها ... في نصفها عذرٌ لمن لا يلحقُ
لكن سبقت بها ، فما لمقصّرٍ ... سبب لمعذرة به يتعلقُ
عمّرْتَها كالدوح ظاهر عوده ... صاب وما ينفك غضاً يورقُ

وطني أخاف عليك قوماً اصبحوا ... يتساءلون :مَن الزعيم الأليقُ؟. (١)

(١) يشير الشاعر الى ما كان يتردد بين الناس من اختلاف على من سيخلف المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني في رئاسة اللجنة التنفيذية العربية وهي التي كانت توجه الحركة الوطنية في فلسطين . وليذكر القارىء ان المغفورله موسى كاظم باشا الحسيني هو والد شهيد فلسطين المرحوم عبدالقادر الحسيني طيب الله ثراهما.

لا تفتحوا باب الشقاق فإنه ... باب على سود العواقب مغلَقُ
والله لا يرجى الخلاص وأمركم ... فوضى ، وشمل العاملين ممزقُ
أين الصفوف تنَسَّقَت فكأنما ... هي حائط دون الهوان وخندقُ
أين القلوب تآلَفَت فتدافعت ... تغشى اللهيب وكل قلب فيلقُ
أين الأكفُّ تصافحت وتساجلَت ... تَبْني وتصنع للخلاص وتنفقُ
أما الزعامةُ فالحوادث أمُّها ... تُعطى على قدر الفداء وتُرزَقُ

يا ابنَ البلاد ، وأنت سيد أرضها ... وسمائها ، إنّي عليك لمشفقُ
انظر لعيشك هل يسرك أنه ... وِرْدٌ يغيض وهجرة تتدفقُ
ماذا يردّ الظلم عنك ، أحسرةٌ ... أمْ زفرةٌ ، أمْ عَبْرةٌ تترقرقُ
أمْ بثُّك الشكوى تظن بيانَها ... سحراً وحجّتها الضحى يتألقُ !
لا تلجأنّ اذا ظُلِمْتَ لمنطق ... فهناك أضيع ما يكون المنطقُ

أفضى الرئيس الى ظلال نعيمه ... وارتاح قلبٌ بالقضية يخفقُ
آثاره ملءُ العيون ، وروحه ... ملءُ الصدور وذكره لا يخلقُ

رثاء الشيخ سعيد الكرمي (*)

أيها الموت ، أيّ مجلس أنسٍ ووقارٍ عَطَّلْتَ بعد سعيدِ
أدبٌ كالرياض في الحسن والطيب قريبٌ جناه للمستفيدِ
وكأني بعلمه البحر عمقاً واتساعاً ، نغشاه عذب الورودِ
ونفوس الجلاّس تأنف ، إلاّ عنده ، أن تكون رهن القيودِ
بغزيرٍ من علمه ومفيدٍ وقريب من حفظه وبعيدِ
وغريبٍ من أنسه وعجيبٍ وطريفٍ من ظرفه وتليدِ
جامع الفضل في الرواية والشعر الى الأصمعيّ طبع الوليدِ (١)
سلف صالح ، بقية قومٍ بارك اللهُ عهدهم في العهودِ

(*) هو المرحوم الشيخ سعيد الكرمي قاضي قضاة امارة شرق الأردن ومن زعماء فلسطين ، وقد حكم عليه السفاح جمال باشا بالإعدام بعد ان ثبت عليه العمل لمصلحة القضية العربية ثم خفض حكم الاعدام الى السجن المؤبد وبقي رحمه الله مسجوناً في سجن دمشق حتى زوال الحكم العثماني عن البلاد . هذا وكان المرحوم الشيخ سعيد الكرمي من أدباء فلسطين المعروفين وكان راوية للشعر .

(١) الوليد هو الشاعر البحتري المشهور .

عرفوا الخير ، أكرموا فاعليه　　جهلوا اللؤم جهلهم للجحودِ
وإذا ما تجرّدوا لعـــداءٍ　　وقفوا بالعداء عنـد حدودٍ ..
ليت قومي تخلّقوا بكريم الخلق هذا ، عند الخصام الشديدِ
ما أشدّ افتقارنا لسموّ الخلق في هذه الليالي السودِ
ما لكم بعضكم يمزق بعضاً　　أفرغتم من العدوّ اللدودِ ؟ (١)
اذهبوا في البلاد طولاً وعرضاً　　وانظروا ما لخصمكم من جهودِ
والمسوا باليدين صرحاً منيعاً　　شاد أركانه بعزمٍ وطيدِ
شاده فوق مجدكم ، وبناه　　مشمخراً على رفات الجدودِ
كل هذا استفاده بين فوضى　　وشقاق ، وذلة ، وهجودِ
واشتغالٍ بالتُّرّهاتِ وحبٍّ الذات عن نافع عميم مجيدِ
شهد الله أن تلك حياة　　فُضِّلَتْ فوقها حياة العبيدِ
أصبح الموت نعمةً يُحْسَدُ المَيْتُ عليها موسّداً في الصعيدِ
وسعيد من نال مثل (سعيدٍ)　　بعد دار الفناء دار الخلودِ
فهنيئاً لك النعيم مقيماً　　أنت فيه جارُ العزيز الحميدِ

(١) كانت النعرات الحزبية في فلسطين حينذاك على اشدها .

رثاء أبي المكارم

عبد المحسن الكاظمي

سَلْ جنة الشعر ما ألوى بدوحتها ... حتى خلت من ظلال الحسن والطيبِ
ومن تصدّى يردُّ السيلَ مزدحماً ... لما تحدّر من شمّ الأهاضيبِ
ومن أغار على تلك الخيام ضحىً ... يبيح تقويضها من بعد تطنيبِ
هي المنية ما تنفكّ سالبةً ... فما تغادر حيّاً غير مسلوبِ
حقُّ العروبة ان تأسى لشاعرها ... وتذرف الدمع منهلاً بمسكوبِ
وترسل الزفرة الحرّى مصدّعة ... ضلوع كل عميد القلب مكروبِ
من للقريض عريقاً في عروبته ... يأتي بسحرين من معنى وتركيبِ
ومن لغرّ القوافي وهي مشرقة ... « كأوجه البدويات الرّعابيب »
(أبا المكارم) قم في الحفل مرتجلاً ... مهذّباتك لم تصقل بتهذيبِ (١)
وأضرِم النارَ ان القومَ هامدة ... قلوبُهمْ ، ذلّ قلبٌ غير مشبوبِ
وانفخ إباءَكَ في آنافهم غضباً ... فقد تُحرّكُ أصنامَ المحاريبِ

(١) كان الشاعر الكاظمي رحمه الله يرتجل الشعر ارتجالا كلما عنّ له .

تمكن الذلّ من قومي فلا عجب   ألاّ يبالوا بتقريع وتأنيبِ
ما أشرفَ العُذْرَ لو أن الوغى نثرتْ   أشلاءَهم بين مطعون ومضروبِ
لكن دهتهم أساليب العداة وهم   ساهون لاهون عن تلك الأساليبِ
ويقنعون بمبذولٍ يلوِّحُهُ   مستعمروهم بتبعيد وتقريبِ
كأنهم لم يُشيِّدْ مجدُ أولهم   على السيوف وأطرافِ الأنابيبِ
يا رائداً كلَّ أرض أهلها عربٌ   يجتازها نِضْو تصعيد وتصويبِ
ومنشداً عندهم علماً ومعرفةً   بحالهم بين إدلاج وتأويبِ
هل جئتَ منهم أناساً عيشهم رغدٌ   أم هل نزلت بقطر غير منكوبِ
أم أيّ راعٍ بلا ذئبٍ يجاوره   إن لم تجد راعياً شراً من الذيبِ

تبوّأ الكاظميُّ الخلدَ منزلةً   يلقى من الله فيها خيرَ ترحيبِ
(أبا المكارم) أشْرِف من علاك وقل: أرى فلسطين أم دنيا الأعاجيبِ
وانظر الينا وسرّح في الحمى بصراً   عن الهدى لم يكن يوماً بمحجوبِ
تجد قوياً وفى وعدَ الدخيل ولم   يكن لنا منه إلا وعد عرقوبِ
ومرَّ سبع وعشر في البلاد له   وحكمه مَزْج ترهيب وتجريبِ

قد تنتهي هذه الدنيا وفي يده   مصيرنا رهن تدريب وتجريبِ
حال أرى شرَّها في الناس منتشراً   وخيرَهـــا للمطايا والمحاسيبِ

هل في فلسطين بعد البؤس من دعةٍ   أم للزمان ابتسام بعد تقطيبِ
كم حقق العزم والاعجال من أملٍ   وخاب قصد بإمهالٍ وتقليبِ

فيصل الملوك *

رثاء المغفور له صاحب الجلالة فيصل الأول ملك العراق

ألقيت في حفلة الأربعين
التي أقيمت في مدينة نابلس

شيّعي الليلَ وقومي استقبلي   طلعةَ الشمس وراء الكرملِ
واخشعي ، يوشك أن يغشى الحمى   يا فلسطين سنىً من فيصلِ
يا لها من ديمة يرفعها   منكبُ الأفق لعين المجتلي
نشأتْ أمناً وظلاً وهدىً   كهدى النجم لفلك مقبلِ
ما دنا حتى همى الدمعُ فهل   « إيلياءُ » الغيث فوق الجبلِ ؟

(*) سافر المغفور له صاحب الجلالة الهاشمية فيصل الأول ملك العراق الى اوروبا ولكنه اضطر للعودة الى العراق بسبب فتنة الآشوريين ثم استأنف السفر الى اوروبا فوافاه الأجل المحتوم في سويسرا وقد نقل جثمانه الطاهر على ظهر باخرة وجيء به الى حيفا حيث كانت فلسطين عن بكرة ابيها بانتظاره . اما فتنة الآشوريين المشار اليها في هذه القصيدة فقد وقف منها المغفور له صاحب الجلالة الملك غازي ـ وكان ولياً للعهد – موقفاً صلباً ووقعت بينه وبين البريطان مشادة عنيفة بشأنها .

ذلك الفلكُ الذي يحمله — مثلَه منذ جرى لم يحملِ
لو تعدّى لُجّةَ البحر به — خاض في لجة دمعٍ مسبلِ
وانطوى العاصفُ والموج له — فاكتسى البحرُ غضونَ الجدولِ
وإذا بالفلك يجري بينها — كمرور الطيف بين المقلِ
يكرمُ الراقدَ يدري أنه — يُؤثرُ الراحةَ والقلبَ الخلي
راقدٌ ينعمُ في ضجعته — خلّف الدنيا به في شغلِ
أيقظ اللّوعةَ فيها والأسى — وغفا بينهما لم يحفلِ
مطبقَ الأجفانِ عن جفن طغى — جامحِ الدمع وجفنٍ مجفلِ
مطمئنٌّ القلبِ ما تزعجه — زفراتٌ كالغضا المشتعلِ

ما الذي أعددْتِ من طيب القرى — يا فلسطين لضيفٍ معجلِ ؟
لا أرى أرضاً نلاقيه بها — قد أضاعَ الأرضَ بيعُ السِفَلِ
فاستري وجهَكِ لا يلمحْ على — صفحتيهِ الخزيَ فوقَ الخجلِ

أكرمي ضيفَكِ إنْ احببته — بأمانيه الكبارِ الحفّلِ
لا تقومي حولَه معولةً — من جلال الملكِ ألاّ تُعْولي

واسألي الباغين ماذا هالَهُمْ   منه في أكفانه إنْ تسألي
راعهم حيّاً وميتاً فاتقوْا   همّةً جبّارةً لم تُخذلِ
ورأوْا في كل قلب حوله   جذوةَ العزمِ ونورَ الأملِ
بطلٌ قد عاد من ميدانه   ظافراً يا مرحباً بالبطلِ

فارس « الشقراء » يجلو باسمها   غمرةً ليلتُها ما تنجلي (١)
صاحبُ التاجيْن في موكبه   رايةُ المجد المنيعِ الأطولِ (٢)
من رأى « نسرَ الملوك » المرتجى   طار من عقبانه في جحفلِ
وسواءٌ في الأعاصير مضوْا   أم مضوْا في نفحات الشّمْألِ
كجنود الله طارتْ خيلُهم   يوم بدرٍ في سماءِ القسطلِ

من رأى ناراً على عاصفةٍ   هكذا أُنقضّ غضوباً من علِ

---

(١) لما أعلنت الثورة العربية الكبرى كان المغفور له الملك فيصل الأول خارج الحجاز في زيارة أعدها له الأتراك وعندما صمم باعث النهضة العربية على اعلان الثورة ضد الأتراك بعث الى ابنه (الأمير) فيصل ببرقية جاء فيها (ارسلوا الفرس الشقراء) دعوة منه لابنه بالعودة الى الحجاز فعاد .
(٢) تاج سوريا وتاج العراق .

هبط المعقلَ يخشى حدثاً ويمينُ الله حِرْزُ المعقلِ (١)
أشِرتْ « آشورُ » حتى جاءها أمرُها بين الظبى والأسلِ
كلُّ لؤمٍ وعقوقٍ دونه فعل«شمعون»لئيمِ «الموصلِ» (٢)
ثورةُ الغاضب للحقِّ تُرى هذه ،أمْ شغبٌ من وُكَّلِ ؟ (٣)
ذلك السيفُ الذي جرَّده فضحته عينُ هذا الصيقلِ
يا لَعَيْنٍ سهرتْ عن فيصلٍ تحرس الملكَ له ما تأتلي
رأتْ الغدرَ فآذاها ، فهل تحملُ الضيم ولمّا تغفلِ
خُلُقٌ في ابنك « غازي » لم يكن بغريبٍ عن قريب المنهلِ
لم يُطِقْ شبلُك ضيماً سيدي ، فاستمعْ للعذر قبل العذلِ
قد يكونُ الحزم في العزمِ وقد يُكتبُ التوفيقُ للمستعجلِ
غضبةٌ من رجلٍ في أُمَّةٍ جعلته أُمَّةً في رجلِ

---

(١) يشير الشاعر الى عودة المغفور له الملك فيصل الى العراق إثر فتنة الآشوريين .
(٢) شمعون هو زعيم الفتنة الآشورية .
(٣) يتساءل الشاعر هل هذه ثورة قام بها الآشوريون من تلقاء انفسهم ام فتنة حرضهم عليها الأجانب .

من هنا للمثل الأعلى يجدْ		في بني هاشم أعلى مثلِ
أيُّكم يا آل بيت المصطفى		ما قضى مستشهداً منذ « علي »
لا أحاشي بينكم من أحدٍ		فكميُّ الحرب صِنْوُ الأعزلِ
كلكم ينشأُ قلباً ويداً		ولساناً في جهاد المبطلِ
فتح الخلدُ لكم هيكله		فإذا أنتم بُدورُ الهيكلِ
ضمَّ جبريل جناحيه على		سؤْددٍ محضٍ ونُبْلٍ أمثلِ
وأطاف الملأُ الأعلى بمنْ		عزمه في الحقِّ عزمُ الرسلِ
فيصلٌ شيَّد ملكاً لم يزل		بحمى الله وغازي يعتلي
وبشعبٍ بذلَ الروحَ ومن		ينشُدُ الملكَ وطيداً يَبْذُلِ
ليس من « حامٍ » لكيدٍ ينبري		فيه أو « منتدب » مختتلِ
أضرموا النارَ وصبّوا فوقها		دَمَهم حُرّاً أبيّاً يغتلي
صهروا الأغلالَ وانصاعوا الى		دنس الأرضِ فقالوا اغتسلي
وإذا دجلةُ عَذْبٌ وِردُها		وإذا النخلُ كريمُ المآكلِ
وإذا بغداد مما ازدهرت		حليةُ التاريخ بعد العطلِ
ووقاها اللهُ والعونُ به		دولَ الغدرِ وغدرَ الدّولِ

تعزية البيت الهاشمي

الى روح المغفور له الملك علي بن الحسين

بني هاشم بين المنايا وبينكم   تراثٌ وما تغفو المنايا عن الوِتْرِ
مضت (بأبي الأشبالِ) يستشهد الوغى   وراياته فيها على دول الغدرِ (١)
وما نكّبتْ عن (شاكر) بعد (فيصلٍ)   وغالت (علياً) واللواعج في الصدرِ (٢)
مقامات أقيالٍ تغيب شموسها   وغارات أبطال تُرَدّ عن النصرِ
بني هاشم لا أخمدَتْ جمراتِكم   ولا أغمدت أسيافكم نوبُ الدهرِ
بأوجهكم تنفضُ حالكة الدّجى   وأيْمانكم ترفضُ مجفلةُ القطرِ
ونيطتْ (بعبد الله) آمالُ أُمّةٍ   وفي ظلّ (غازي) عَوْدُ أيامِها الغرِّ

---

(١) (ابو الاشبال) هو المغفور له صاحب الجلالة الملك حسين بن علي بن عون.
(٢) (شاكر) هو المغفور له الأمير شاكر بن زيد من ابطال العرب .

الملك حسين

رحمةُ الله عليـــه إنــــه غاله اليأْسُ ، وكان الأملا
ويح قومٍ خـذلوه بعـدما أخـذوا الميثاقَ ألاَّ يَخذُلا
شيمة الغـدْرِ بمن ينصرهم ذهبت يا (ابن عليٍّ) مثلا

آل بيتِ المصطفى لم تبرحوا تَرِدونَ الموتَ في ظل العُلى
كادت الكأْسُ التي في قبرصٍ تُشْبهُ الكأْسَ التي في كربلا

رثاء أديب منصور *

عرفتُ (أديباً) فأحببتـه وسرعان ما غاب هذا الحبيبْ
ويا لهفي ، الآن كلّمتـه وفي لحظةٍ بات لا يستجيبْ
ويا حسرتي للرَّدى ، مزَّقتْ يـداه رداءَ الشباب القشيبْ
وكان نضيراً على منكبيـه فأصبح منه سليباً خضيبْ
دعـاني البكاء فلبّيتـه جزوعاً عليه بدمع صبيبْ
وسِرْتُ بموكبه خاشعاً أشيّعـه بين حفلٍ مهيبْ
تُفيـضُ أكاليلُه طيبـها ودون شمائله كلُّ طيبْ
وعدت عن القبر في العائـدين أمامي نحيبٌ وخلفي نحيبْ
وفي كل نفسٍ له لوعـة وفي كل قلب عليه لهيبْ

(*) كان المرحوم اديب منصور من موظفي محطة الاذاعة في القدس وكان يعمل مع المرحوم ابراهيم . وفي احد الأيام وضع مجرمون من الارهابيين اليهود قنبلة موقوتة في مكاتب الاذاعة فانفجرت القنبلة مودية بحياة المرحوم اديب منصور . فرثاه ابراهيم بهذه القصيدة وألقاها في حفلة الأربعين التي أقيمت في جمعية الشبان المسيحية في القدس تخليداً لذكرى المرحوم اديب .

عرفت (أديباً) حميد الخصال وأحببتُ فيه الذكيَّ اللبيبْ
وروحاً على القلب مثل النسيم يهبُّ فينعش قلب الكئيبْ
وكان قريراً بآماله فأدعو له الله ألاَّ تخيبْ
وكان يراها بعين الأريب ولكنَّ للدهر عينَ الرقيبْ
ويكلأُها بالنشاط العجيب وللدهر في النَّاس شأن عجيبْ
تناول ذاك الفؤادَ الخصيب فأصبح وهو الفؤادُ الجديبْ
وحطّم بنيانَ آماله بكفَّيْ لئيمٍ خؤون رهيبْ

عزاءً لكم ، أيها الأقربون ، جميلاً لنا فيه أوفى نصيبْ
لئن باعدت رحمٌ بيننا لقد كان فينا الحبيب القريبْ
بنا ما بكمْ من غليل الأسى بقلب ألحَّ عليه الوجيبْ
ومرَّ بنا يومه (الأربعون) يجدِّد لي ذكر يوم عصيبْ
فقدتُ فتىً كان في أُسرتي ملاذ القريب وعونَ الغريبْ (١)
أبيّاً على الضيم ، عفَّ اليدين ، نقيَّ السَّريرة مما يريبْ
فذاك ابن عمٍ ، وهذا صديق وذاك (عفيف) ، وهذا (أديبْ)

---

(١) الاشارة الى المرحوم ابن العم عفيف طوقان مهندس لواء القدس الذي قتل بسبب انفجار لغم ارضي تحت سيارته وهو مسافر على طريق بيت جبرين في لواء الخليل .

مصرع بلبل

مصرع بلبل

حكاية رمزية تمثل الواقع في حياة المدن الكبرى حين يدخل غمارها الشاب قادماً من البلدة الصغيرة او القرية البسيطة ... هذه الحياة الصاخبة تخلب ذلك الشاب بزخرفها وفنون لهوها وألوان عبثها ، تجتذبه فيرتمي بين احضانها ويلقي بقياده اليها فتذهب به في مزالق الضلال كل مذهب .

ثم تسفر هذه الحياة عن وجه كالح ، وتنقشع نشوتها عن صحو مضى أوانه ... فاذا هنالك افلاس في احد ثلاثة : في المال ، او الصحة ، او المستقبل . وكثيراً ما اعلن الافلاس في الثلاثة جميعاً ، وهنالك الفاجعة الأبدية ... أما « البلبل » في هذه الحكاية فرمز الشاب المخدوع ، واما « الوردة » فرمز بائعة اللهو والعبث ... ، وأما « الروض » فهو رمز الحانة او الملهى .

قدَرٌ ساقـه فآواهُ روضاً   لم يكنْ طار فيه قبلاً وغنَّى
فاستوى فوق أيكةٍ ورمى عينيه فيما هناك يُسرى ويُمنى
وإذا الروضُ بهجةُ الروح طيباً   وظلالاً ، وفتنةُ العين حسنا

وكأنَّ الغديرَ بين ضلالٍ وهدىً كلما استوى أو تثنَّى
تنحني فوقه كرائمُ ذاك الدوح منها الجنى ، وكم يتجنَّى ..
مطمئنٌ يسير تيهاً ، فإن رام عناقَ الصخورِ صدَّتْ فجُنَّا
هكذا يصبح الحبيبُ المغنِّي بعد حينٍ وهو المحب المعنَّى

ومضى البلبلُ الغريبُ يطوف الروضَ حتى انزوى محيَّا النهارِ
راح يأوي الى الغصون ولكن كيف يغفو مشرَّدُ الأفكارِ
كان في الروض فوق ما يتمنى من فنون الأثمار والأزهارِ
غير أنْ ليس فيه طير يغنِّي أيّ روض يحلو بلا أطيارِ
وسرتْ فيه رعدة حين لم يلق سوى دارسٍ من الأوكارِ
وبقايا نواقفٍ رغم الموت عليها ، مخضَّب الأظفارِ
أيّ خطبٍ أصابكمْ معشرَ الطير ..؟ وماذا في الروض من أسرارِ ؟

طلع الفجر باسماً إثرَ ليلٍ دونه وحشةً كهوف المنيَّهْ
تتنزَّى أشباحه صاخباتٍ عارياتٍ ، أكفُّها دمويَّهْ
ورُجومٌ تفري الغيوم وتهوي كل رجمٍ من الجحيم شظيَّهْ

وخسوفٌ تحدَّث البدر فيه   بفم الحوت منذراً برزيَّهْ
ذاك ليل قضى على البلبل المنكود لولا يدٌ تصدَّتْ عليَّهْ
ملكة عرشها المشارق ، والتاج سناها ، أعظِمْ بها شرقيَّهْ
أنقذته فهبَّ يشدو شكوراً   مرحاً ، هاتفاً لها بالتحيَّهْ :

مليكة النيّراتْ   إلهة المشرقَيْنْ
الناس في الغابراتْ   إليك مدّوا اليديْنْ
وأحرقوا في الصلاةْ   نضارهم واللُّجَيْنْ
وقرّبوا الأعناقْ
زلفى تراقْ

يا ليل إن الصباحْ   رمز حياة الورى
أنفاسُه في البطاحْ   وروحه في الذرى
أما رأيت الأقاحْ   أفاق بعد الكرى
وضوّع الآفاقْ
لما أفاقْ

هناك راعي الغنمْ جذلان ، حيُّ الفؤادْ
يرتع بين الأكمْ يهيم في كل وادْ
والنايُ صبُّ النغمْ وبثّه في الوهادْ
كزفرة الأشواقْ
غِبَّ الفراقْ

*

نسي الطيرُ همّه حين غنّى قلما يستقرّ همُّ الطروبِ
أَلِف الروض مفرداً وتولّى عنه في دوحه شعورُ الغريبِ
مستقلٌّ في الملك ، لا من شريكٍ طامعٍ يُتّقى ، ولا من رقيبِ
مطلقٌ ، يستقرُّ عند نمير تارة او يقيل فوق رطيبِ
وإذا (وردة) تفيضُ جمالاً تتهادى مع النسيم اللعوبِ
قد حمتها أشواكُها مشرعاتٍ حولها دون عابث أو غصوبِ
تمنح العين حين تبدو وتخفي من ضروب الاغراء كل عجيبِ

كلُّ قلبٍ له هواه .. ولكن ليس يدري متى يجيء زمانُهْ
وهو إمّا في ظلِّ جفن كحيل كامن السحر ، راقد أفعوانُهْ

أو وراء ابتسامةٍ حلوةِ الثغر ، نقيّ ، مفلّجٍ أقحوانُهْ
أو على الصدر يستوي فوق عرشين .. مكيناً مؤيداً سلطانُهْ
فاذا كان لفحةً من جحيم الرجس .. أملى أحكامَه شيطانُهْ
وإذا هبّ نفحةً من نعيم الطهر .. قامت ركينة أركانُهْ
هوذا الحب فليكن حين يأتيك بريئاً من كل عيب مكانُهْ

صارت الوردة الخليعة للبلبل همّاً ومأرباً يُشقيهِ
حسرتا للغرير أصبح كرباً ما يلاقيه من دلالٍ وتيهِ
شفّه السهدُ واعتراهُ من الحبّ سقامٌ مبرّحٌ يضنيهِ
من رآها وقد تحامل يهفو نحوها ، كيف أعرضت تغريهِ
من رأى روحه تسيل نشيداً لاهباً ، لوعةُ الأسى تُذكيهِ
هي (حوّاء) ذلك الخلد فاحذرْ لا تكوننّ أنت (آدمَ) فيهِ
لا تهب قلبك الكريمَ لئيماً تحت رجليه عابثاً يلقيهِ

هل يرى في ظلال وردته الحمراء سرّاً بدا وكان خفيّا
هل يرى للطيور فيها قلوباً نبذتهنّ يابساً وجنيّا



هل
كم
سامه
والهو
هكذ

من
لم يع
زلزل

هل يرى اليوم ما الذي جعل الروض كئيباً من الطيور خليّا
كم نذيرٍ بدا لعينيـــه حتّى قام شخص الردى هناك سويّا
سامه حبُّه شقاء ولكن نعمة الحب أن يكون شقيّا
والهوى يطمس العيون ويُلقي في قرار الأسماع منه دويّا
هكذا يسلك المحب طريق الخوف أمناً ويحسب الرشد غيّا

من ترى علَّم البخيلة حتى سمحت أن يقبِّل الطير فاها
لم يصدِّقْ عينيه حتى أطلَّتْ وأطالت في ختـلـه نجواها
زلزل الروض عند ذلك بالألحان .. فاسمع روايتي عن صداها :

نشيد البلبل للوردة

أنشدي يا صَبا وارقصي يا غصونْ
واسقني يا ندى بين لحظ العيونْ
فيـك يا وردتي قد حلا لي الجنونْ
أنا مني الهـوى أنت منك الفتونْ
أنشري ما طوتْ من غرامي السنونْ

كان في أضلعي   فَرَوَتْهُ الجفونْ
اقربي من فمي   فحديثي شجونْ ..

*

ضمَّها الطير مطبقاً بجناحيه ،   وهمَّت بثغره شفتاها
لم يُمتَّعْ بنشوة الحبّ حتى   أشرعت شوكةً تلظَّى شباها
اوردتها قلباً ، اذا رفّ يوماً   خافقاً للهوى فذاك هواها
كرعت في الدم البريء فلما   عكسته وهَّاجةً وجنتاها
نظر الطير نظرةً أعقبتْها   روحه طيّ شهقة معناها :
وردة تبهر العيون ولكن   كثرةُ الشمّ قد أضاعتْ شذاها



أناشيد

نشيد رثاء غازي *

رايــةٌ روّعها خطب عراها خفقتْ والهةً فـوق ذراهـا
والصَّبـا مرّت بها نائحــةً جزعـاً تنعي الى الدنيـا فتاها
يا رايـتي تجمّـلي وبعد غازي أمّلي واعتصمي بفيصـلِ
أُمنيــة المستقبـلِ
كعهد غازي أشرفي على الحمى ورفرفي منيعـة بفيصـلِ
ريحانة المستقبـلِ

يا سليـل المرهفات البـاترات وأبن رايات المعـالي الخالدات
نَمْ رضيَّ البــال وأنعم إنما عهدنا عهدك عزمٌ وثبــات
نم بالهنــا فإننـا وراء تحقيق المـنى نبـني بهنَّ الوطنا
فيعتـلي ويعتـلي
ولم نَزَلْ له الفـدا حتى ينال الفرقدا مكـرَّمـاً مخلَّـدا
مؤيَّـداً بفيصـلِ

(*) لحنه المرحوم يحيى اللبابيدي وأذيع من محطة القدس .

أشواق الحجاز

بلادَ الحجاز اليك هفا   فؤادي وهامَ بحبّ النبي
ويا حبذا زمزمٌ والصفا   ويا طيبَ ذاك الثرى الطيّبِ

ذكرى الهادي، والأمجادِ   ملءُ الوادي ، والأنجادِ
أثر الهممِ ، منذ القدمِ   حول الحرم ، أبداً بادِ
بلادَ الكرامِ   شموسِ الهدى
عليك سلامي   مدىً سرمدا

*

هنيئاً لمن حضر المشهدا   وطاف بكعبة ذاك الحرم
ومن قبّل الحجرَ الأسودا   وظلّله الركنُ لمّا استلم

*

بروحي ربوعُ النبي الأمين   وصحبُ النبي هداةُ الملا
ومشرقُ نور الكتاب المبين   عمادِ الحياة وركنِ العلا

ذكرى الهادي والأمجاد ملء الوادي والأمجاد
أثر الهمم منذ القدم حول الحرم أبداً باد
بلادَ الكرامِ شموسِ الهدى
عليك سلامي مدى سرمدا

موطني

موطني   الجلالُ والجمالُ   والسناءُ والبهاءُ   في رُباكْ
والحياةُ والنجاةُ   والهناءُ والرجاءُ   في هواكْ
هل أراكْ
سالمًا منعّماً   وغانماً مكرّماً
هل أراكْ في علاكْ
تبلغ السماكْ
موطني

موطني   الشباب لن يكلّ   همّه ان تستقلّ   أو يبيدْ
نستقي من الردى   ولن نكون للعدى   كالعبيدْ
لا نريدْ
ذلّنا المؤبدا   وعيشنا المنكدا
لا نريدْ بل نعيد

مجدُنا التليدْ

موطني

موطني الحسامُ واليراعُ لا الكلامُ والنزاع رمزنا

مجدنا وعهدنا وواجب الى الوفا يهزُّنا

عِزُّنا

غايةٌ تشرّفُ ورايةٌ ترفرفُ

يا هَناكْ في علاكْ

قاهراً عِداكْ

موطني

فِتيةَ المغرب

فتيةَ المغربِ هيّا للجهادْ — نحن أولى النّاسِ بالأندلسِ
نحن ابطالُ فتاها ابنِ زيادْ — ولها نُرخصُ غالي الأنفسِ

قِفْ على الشاطىء وأنظر هل ترى — لَهَبَ النّارِ وآثارَ السّفينْ
يَومَ لا طارقُ عاد القهقرى — لا ، ولا آباؤنا أُسْدُ العرينْ

يومَ لا عزمُ الجبالِ الراسياتْ — مُشْبِهٌ عَزْمَ شبابِ المغربِ
لا ولا همةُ بحرِ الظلماتْ — أشبهتْ هِمّةَ جيشِ العربِ

يا فتى المغربِ سَلْها مَنْ بنى — دارَها الحمراءَ تسمعْ عَجَبا
فأعِدْها لذويها وَطنا — تحسدُ الدّنيا عليه العربا

نحن أهلوها وان هَبّتْ صبا — مِن رُباها فعلينا أوّلا
جَنّةُ الفردوسِ هاتيكَ الرُّبى — كيف تبقى لسوانا نُزُلا

نشيد بطل الريف

في ثنايا العجاجْ والتحام السيوفْ
بينما الجوُّ داجْ والمنايا تطوفْ
يتهادى نسيمْ فيه أزكى سلامْ
نحو (عبد الكريم) الأميرِ الهمامْ
ريفُنا غابُنا نحن فيه الأسود ريفُنا نحميهْ

كلُّنا يعجبُ بفتى المغربِ
كلُّنا يطربُ لانتصار الأبي
أين جيش العدا إنْ دعا للجهادْ
أصبحوا أعبُدا بالسيوف الحدادْ
ريفُنا غابُنا نحن فيه الأسودْ ريفُنا نحميهْ

طالما استعبدوا وأذلُّوا الرقابْ
أيها الأيِّدُ جاء يوم الحسابْ
فليذوقوا الزعافْ بالظبى والأسلْ
ولْنُعَلِّ الهتافْ للأمير البطلْ
ريفُنا غابُنا نحن فيه الأسودْ ريفُنا نحميهْ

العَمَل

مجدُ البلادْ		بالشباب العاملينْ
والاجتهادْ		للعلى نهج مبينْ
هبّوا إذنْ		واجنوا الثمنْ		عز الوطنْ
مدى السنينْ

إنّ العملْ		يحيي الأملْ
سرُّ الوجودْ		فيه نسودْ
في العالمينْ

ما للكسولْ		قيمة بين الملا
ولا الخمولْ		سُلَّمٌ الى العلا
إن الهممْ		تبني الأممْ		خير الشيمْ
أن نعملا

إنّ العملْ يحيي الأملْ
سرُّ الوجودْ فيه نسودْ
في العالمينْ

عزم الشبابْ قوةٌ لا تُغلبُ
ولا يهابْ أيَّ هولٍ يركبُ
لا ينثني أو يجتني للوطنِ
ما يطلبُ
إنّ العملْ يحيي الأملْ
سرُّ الوجودْ فيه نسودْ
في العالمينْ

وطني أنتَ لي

وطني أنت لي والخصم راغمٌ وطني أنت كل المنى
وطني إنني إن تسلم سالمٌ وبك العزّ لي والهنا

يا شبابنا انهضوا آن أن ننهضا
ولنعلِ الوطن فلنِعْمَ الوطن
وانهضوا وارفعوا عاليا مجدكم خالداً ساميا

وطني مجده في الكون أوحدُ وطني صافح الكوكبا
وطني حسنه في الكون مفردُ جنة سهله والربى

يا شبابنا انهضوا آن أن ننهضا
ولنعلِ الوطن فلنعم الوطن
وانهضوا وارفعوا عاليا مجدكم خالداً ساميا

وطني حيث لي محبٌ ينطقُ   بلساني وما أشعرُ
وطني حيث لي فؤادٌ يخفقُ   وبه رايتي تنشرُ

يا شبابنا انهضوا   آن أن ننهضا
ولنعلّ الوطن   فلنعم الوطن
وانهضوا وارفعوا عاليا   مجدكم خالداً ساميا

وداع *

لا تقـل لله لبنـان الأشمّْ
لا تقـل أشتاقُ ألحـان الخضمّْ
عشْ كما أهواك مكفوفاً أصمّْ
يا فؤادي واْسـلُ أيام الهوى

هـل رأيت الروض أيام الخريف
ذابـل الأزهـار مسلوب الحفيف
متواري الحسن في الغـيم الكثيف
يا فؤادي أين أيام الهـوى !

(*) نظمها قبيل سفر الصديق الشيخ سعيد تقي الدين مهاجراً الى جزائر الفليبين سنة ١٩٢٦ .

هل رأيت الطير في الروض يدورْ
هائماً يبحث عن عهـد السرورْ
مرغماً ينساق والريح تثـــورْ
يا فؤادي أين أيام الهـوى !

لا تسلـني يا فؤادي عن هنـاءْ
لك في الروض وفي الطـير عزاءْ
إنمـــا العمر نعـــيم وشـقاءْ
يا فؤادي ، وهنا ضلّ الهوى !

مرابع الخلود

مرابعُ الخلود (*)

توطئة

لما انجلتْ من حُجُبِ الزَّمانِ   مرابعُ الخلودِ والمغاني
ضاق على النفسِ الكيانُ الفاني   وعالمٌ يَغَصُّ بالأشجانِ
ويفجعُ القلوبَ بالأماني

لاحَ لها من الخلودِ ما استترْ   وامتلك السَّمعَ عليها والبصرْ
وامتزجتْ مع النسيمِ في السَّحرْ   وارتفعتْ على أشِعَّةِ القمرْ
شفَّافةً عُلْويةَ الألحانِ

(*) ألقيت في حفلة الذكرى الألفية للمتنبي وهي الحفلة التي اقامتها جمعية العروة الوثقى في الجامعة الأميركية ببيروت في ٣١ ايار سنة ١٩٣٥ . وكان خطباء الحفلة الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، المرحوم معروف الرصافي ، الاستاذ سامي الكيالي ، الاستاذ شفيق جبري ، الاستاذ فؤاد افرام البستاني ، الاستاذ انيس الخوري المقدسي .

ولم يَطُلْ بها المدى حتى دنا أبعدُ ما ترجوه من غُرِّ المنى
هنا هيا كلُّ الخلودِ ، وهنا كلُّ عظيمِ القدْرِ وضّاح السَّنى
فانطلقتْ مُرْسَلَةَ العِنانِ

الخالدون

طافتْ على الملوكِ والقياصرهْ فانْقَلَبَتْ تقولُ وهي ساخِرَهْ
أضخمكم أُسْطورةٌ أو نادرهْ وإنما الخلودُ للعباقِرهْ
جبابر النفوسِ والأذهانِ

للأنبياءِ أرفعُ المقامِ يُحَفُّ بالجلال والاكرامِ
وعندهم روائعُ الالهامِ فيها الهدى والنُّورُ للأَنامِ
وغايةُ الكمالِ في الايمانِ

والشهداءُ بعدهم في المرتبهْ أهلُ الفدى في الأممِ المعذَّبهْ
صَبَّ الشهيدُ دمَهُ وقرَّبهْ يقولُ : إنَّ المهجَ المخضَّبهْ
أدفع للضَّيْمِ عن الأوطانِ

واجتمع السِّحْرُ الى الفتونِ   بين رُبى الخلودِ والعيونِ
قرائحٌ من جوهرٍ مكنونِ   تَشِعُّ بالعلومِ والفنونِ
وتغمرُ العالمَ بالاحسانِ

أولئكَ الشموسُ والبدورُ   دائمة الاشراقِ لا تغورُ
أفلاكها ، ما كرَّت الدهورُ ،   الحبُّ والجمالُ والسرورُ
والخيرُ والحكمةُ في الانسانِ

في حضرة المتنبي

أصغَيْتُ للنفس تقولُ : ماليَهْ   طوَّفْتُ في الخلود كلَّ ناحيَهْ
فما وجدتُ مثلَ تلك الرابيَهْ   مشرفةً على الوجودِ عاليَهْ
عاتيةً وطيدةَ الأركانِ

رأيت ظِلاً شاملاً ظليلا   يضُمُّ صَرْحاً ماثِلاً جليلا
فارتدَّ طرفي عنهما كليلا   اذا طلبتُ لهما تمثيلا
« فالحدَثُ الحمراء » في « بوّانِ »

رأيتُ بيضاً يعتنقْنَ سُمْرا   هُنَّ النُّجومُ يأتلِقْنَ زُهْرا
في يد كلِّ فارسٍ أغرّا   يلتمسُ المجدَ الأثيلَ قَسْرا
والمجدُ لن يكونَ للجبانِ

رأيتُ غيداً من أعاريبِ الفلا   حُمْرَ الجلابيبِ غرائبَ الحِلى
خُلِقْنَ من حُسْنٍ وفتنةٍ فلا   تَطْرِيَةً ترى ولا تجمُّلا
وهكذا فلتكن الغواني

ذاك الذي وقفْنَ عن جنبيْهِ   خِلْتُ ملوكَ الأرض في بُرْدَيْهِ
أو الأنامَ تحت أخمصَيْهِ   قِيلَ اسْجدي خاشعةً لديْهِ
(فالمتنبي) سيّدُ المكانِ

إن كنتِ ممّنْ يصحبُ الكتابا   ويألفُ الطِّعانَ والضِّرابا
ويهجرُ النديمَ والشرابا   جئتِ أعزَّ خالدٍ جَنابا
وفزتِ بالاكرام والأمانِ

نكَسْتُ رأسي ودنوتُ أعْثُرُ فأين كسرى هيبةً وقيصرُ
بين يديْهِ أسدٌ غضنْفرُ عليه من ضربةِ سوْطٍ أثرُ
يُغني « ابنَ عمَّارٍ » عن البيانِ

كافور خالد !؟

ومُضحكٌ مُشقَّقُ الكعبيْنِ أسْوَدُ ، لابيٌّ ، بمشفريْنِ
عهدْتُه يُشدُّ بالأُذْنيْنِ وقدْرُهُ يُردُّ بالفِلْسيْنِ
يومَ تَروُجُ سِلْعَةُ الخِصْيانِ

كانَ لمصرَ سُبَّةً وعارا يومَ أثارَ الشاعرَ الجبَّارا
لم أدرِ هل كان الهجاءُ نارا أم عاصفاً هيَّجَ أمْ تيَّارا
أمْ شقَّ ذاكَ الصدرُ عن بركانِ

والحسد خالد ؟!

وَثَمَّ وحشٌ فمُهُ دامي الزَّبَدْ في جيدهِ حبْلٌ غليظٌ من مَسَدْ
قلتُ: ألا أسألُ ما هذا الجسَدْ ؟ قال: بلى؛ هذا غريمُنا الحسَدْ ..
مُرْتَبِكُ الأخْلاطِ في شيْطانِ

رأيتُهُ يطْمِسُ عينيْه العَمى سَعيرُ قلبِه طغى عليهما
قلتُ : وهذا خالد أيضاً ؟ فما أعجبَ أنْ يبقى الأذى ويسلما
وينعمَ الشرُّ بعُمرٍ ثانِ !!

تبسَّمَ الشاعرُ ، ثُمَّ ردَّدا في الوحشِ نظرةً كأنَّها الرَّدى
قال : لئن نَكَّدَ عيشي بالعدى حتى دعوتُ ولدي (مُحَسَّدا)
فإنَّه خُلِّدَ في الهوانِ

تقدَّمي ، يا نفسُ ، واسأليني عن أثر المفتاحِ في جبيني
بدَّلني بكيدِهِ اللَّعينِ ذُلَّ الوجار من حِمى العرينِ
حمى الملوكِ من (بني حمدانِ)

وما أبْتلى الحسودُ إلا جَوْهرا يتمُّ نوراً ويطيبُ عُنْصرا
والفضلُ لا بدَّ له أنْ يظهرا تُحدِّثُ الأعْصُرُ عنه الأعْصرا
وللحسودِ غمْرَةُ النِّسْيانِ

❋

خاتمة

عودي إلى دنياكِ ، دنيا العَرَبِ بجذوةٍ تُضرِمُ رُوحَ الأدبِ
وتغمرُ الشرقَ بهذا اللَّهبِ قد يستردُّ الحقَّ بعضُ الكتبِ
وقد يكونُ المجدُ في ديوانِ



قطع مبعثرة

الى هنا ينتهي (ديوان ابراهيم) كما رتبه هو وأعده للنشر . ولكني آثرت ان أضم اليه قطعاً شعرية أخرى وجدتها في مخلفاته لاعتقادي بأنها تكشف عن ناحية من حياته يهم الأدباء ان يطلعوا عليها . وجميع هذه القطع من الشعر العاطفي الغزلي وقد جمعتها في هذا الباب الاخير من ابواب الديوان .

احمد طوقان

الحبيبُ الذاهل

على لسان (م .....)

قمْ حبيبي وأطفىء المصباحا   قد أباح الهوى لنا ما أباحا
حبّذا الاعتناق إن كانتْ الظلمةُ ستراً من دونه ووشاحا
تَحْبِسُ العينَ عن ملذّة مرآهُ ولكنْ تسرّحُ الأرواحا
قمْ حبيبي وأطفىء المصباحا

رقد الكونُ غير تلك العيونِ   في السماوات ساهرات الجفونِ
لا تخفْها ؛ فلن تبوح بسرٍّ   وسواها يُثير سوءَ الظنونِ
وأراها أحنى وأوْفى من الأهل ، وكم بينَ أهلنا من خؤون
لا تخفها ؛ وانظرْ لها باسماتٍ   مبدياتٍ لنا وجوهاً وضاحا
قمْ حبيبي وأطفىء المصباحا

كم سهرنا من قبل ليلاً طويلاً   فشكا الصمتُ فيه منّا العويلا
وبغى البينُ أشهراً لا يبالي   ما نقاسيه صبوةً ونحولا
فالتقيْنا ؛ إنّ اللقاءَ قصيرٌ   فانتهزْهُ وخلٍّ عنك الذهولا
ولْنودِّعْ تلك الهمومَ اللواتي   يتوثّبْنَ في الدجى أشباحا
قمْ حبيبي وأطفىء المصباحا

هل نسيتَ الأسفار والأخطارا   يا حبيبي وكيف جئنا فرارا
غفلةُ الناس مرةً نعمةُ الحبّ ، ويا ليتها تكون مرارا
ويلك أسمعْ قلبَ الزمان فقد دقّ ثلاثاً لا تُستردّ قِصارا
لَيَروعنّكَ الصباحُ إذا لاح قريباً ، فلا تقلْ كيف لاحا
قمْ حبيبي وأطفىء المصباحا

اغفري لي ..

الى م ...

إغفري لي إذا اتهمتك بالغـدر فقد كنت غائباً عن صوابي
إغفري لي ، لعل ما كان مني صرخة الهول عند مرأى عذابي
أو صدى اليأس رجّعته ضلوعي أو بكائي على أمـاني الشبابِ
لَم تكوني كما زعمتُ ، ولكنْ هالني ما قرأتُـه في الكتابِ
ولعمري رأيتُ منـك وفـاءً لم يكن فيـه ذرّة لارتيابي
فاغفري لي ما قلتـه في جنوني وتعـالي أشرحْ اليـك مصابي

رُبَّ صرحٍ ممرّدٍ من أمـانيَّ أظَلَّ النجوم تحت جناحِـهْ
قد نَـمَتْ حوله الأزاهيرُ شتَّى وسقاها الهوى عـلالةَ راحِـهْ
فنزلنـاه آمنـين زمانـاً نجتـني من وروده وأقاحِـهْ
لم تُحرِّكْ منـه العواصف ركناً ولـكم خاب مثلها في كفاحِـهْ

ثم كانتْ يَدٌ ، سأسكتُ عنها هدَّمتهُ الى سـواء الترابِ
أين تلك السماء ؟ هل كان ذاك الصرح فيها مشيّداً من سحابِ ؟

إغفري لي فإن أشقى المحبّين محبٌّ حياته ذكرياتُ
أينما كنتُ هيّج القلب ذكرى صوّرتها آثارُنا الباقياتُ
ما هنا ؟ إنها رسومُ دموعٍ ؛ وهنا ؟ آه إنها قبلاتُ
وهنا ؟ طائرٌ يُعيد حديثاً لم تغبْ عنه هذه الكلماتُ :
يا حياتي ، لا تغضبي ، وتعالي عانقيني وأقصري من عتابي
حسب قلبي عذابه ، فاغفري لي يا حياتي فقد لقيت عقابي

ذكرى

جئتَ تتلو عليَّ صفحة ماضٍ　　متنها الحبّ والأسى بين صحفي

صاحِ دعْها ؛ وخذ سواها فإني　　قد تبيّنتُها لأول حرفِ

صاحِ دعْها ؛ فقد دفنتُ أمانيَّ　　ولهوي يا حسرتاه وقصفي

وخلتْ أضلعي فأمسى خليّاً　　غزلي في هوى الحسان ووصفي

وليالٍ ظفرتُ فيها من الدهر　　- على بخله - بنعمة عطفِ

ساهرٍ في ظلامها أقبس النورَ　　لقلبي بلثم خدٍّ وكفٍّ

وفمٍ كلما شكا ألَمَ الوجد　　تَعَلَّقْتُهُ بقطفٍ ورشفِ

وجفونٍ ما بين قتلٍ بعنفٍ　　أنا منها وبين قتلٍ بلطفِ

صاحِ يكفي ! فقد تولّتْ ليالٍ　　شيّعتْها المنى بربّك يكفي

(*) بمناسبة رسالة أتاه بها صديق من اصدقائه .

الغَرامُ الأوَّلُ

عهد غرامي الأولِ　　هيهات ما ترجع لي
أنتَ ومهجتي معاً　　أنت وحلو الأملِ
وليلة زاهرة　　ساهرة بالقُبَلِ
وهجعة أحلامها　　صحَّتْ فلم تأوّلِ
على ذراع خَضِلٍ　　عند فؤادٍ ثملِ
أنت وما أوْدَعْتَهُ　　في يد ماضٍ مسبلِ
أنت وما أضعتَهُ　　بين شعاب الكرملِ
هيهات ما ترجع لي

الشجون...

إلى ذات المنديل

نزيهة ليس للمنديـــــل فيما بيننا حاجهْ
وإن سرّكِ أن يبقى   فأنوارك وهّاجـهْ
فيا مَنْ تأمر الحسن فيلقي دونها تاجهْ
لقد قطّعتِ بالدلّ عرى قلبي وأوْداجهْ

إلى م ...

خلّفتُ قلبي فوق سفح (الكرملِ)   حيرانَ يسألُ عنك أهلَ المنزلِ
خلّفته يهفو على غُرَفِ الهوى   في شكل طير بينهم متنقّـلِ
لم يعلموا ما سِرّه ، فإذا بكى   حسبوه يضحك للربيع المقبـلِ

إلى ل ...

أين الرسالاتُ والشوقُ ؟ فالجـواب تأخّـرْ
كم قلتِ: «شوقي كثيرٌ»   أظنّ شـوقيَ أكثرْ
أسائل البدرَ حيران عنـك إن هو أسـفرْ

ذكرتُ وجهك فيه والشيء بالشيء يُذكرْ
كوني بودّك كالبدر فهو يخفى ويظهرْ

إلى م ... أيضاً

إلى الحبيب الذي فاز غيرُنا بوصالِهْ
ولم نفزْ منه إلاَّ بصدِّه ودلالِهْ
ومَنْ تعلَّمَ منه الصدودَ طيفُ خيالِهْ
هلاَّ تجرِّب شيئاً من الهوى واحتمالِهْ
عساك تعرف ما قد عرفتُ من أهوالِهْ
عساك تسهد ، أفديك ، ليلة من طوالِهْ
لكنْ أراك سعيداً خلِّ الشقيَّ بحالِهْ

إلى ذات العصابة الزرقاء

روحي فداء عصابة زرقاءِ لَمّتْ شعور مليحة حسناءِ
ما زيَّنَتْكِ وإنما زيَّنْتِها بجوارها لجبينك الوضّاءِ
ودُنوّها من مقلة مكحولة فتّانةٍ ، فتّاكةٍ ، حوراءِ
إن الجمال إذا تجمّع شمله فالويل كل الويل للشعراءِ

دعاء

رَبِّ أطعمني غــلاماً شاعراً
لدواعي الحسن مثــلي مُذْعِنا
وليكنْ مجنونَ ليلى وليكنْ
طيِّبَ القلب ظريفــاً لَسِنا
وليكنْ مثــل أبيه ، إننــا
لم نوفّرْ غادةً في شعرنــا

فهرس

بأسماء ومطالع القصائد وتاريخ نظمها

اللوحات والرسوم	رضوان الشهال
الخطوط	كامل البابا
رسما الثلاثاء الحمراء وخطرة في الهوى	أديبة طوقان
الغلاف	اندريا حوا

انتهى طبع هذا الديوان
على مطابع دار الكشاف للنشر
والطباعة والتوزيع يوم الجمعة الواقع
في ١٩ ربيع الاول ١٣٧٥
الموافق ١١ تشرين الثاني ١٩٥٥

توزيع المكتب التجاري ـ بيروت

الثمن : ٥ ليرات